

جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإسلامية



دراسة تحليلية وموضوعية

لوصايا لقمان لابنه في سورة لقمان (الآيات 12 - 19)

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصّص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف الدكتور:

عبد الكريم بوغزالة

إعداد الطالب:

فتحي بو عافية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
مصطفى حميداتو	د/أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	رئيسا
عبد الكريم بوغزالة	د/أستاذ محاضر - أ-	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
خريف زتون	أستاذ مساعد - أ-	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	عضوا

العام الدراسي: 1435هـ/1436هـ - 2014م/2015م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص

- إنَّ المذكرة التي بين أيدينا بعنوان: دراسة تحليلية وموضوعية لوصايا لقمان لابنه في سورة لقمان (الآيات 12 – 19). وقد احتوت على مقدمة، ثلاثة مباحث، خاتمة وفهارس. أما المقدمة فتناولت فيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والمنهج العلمي للبحث وكذا أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث، إضافة إلى الدراسات السابقة مقرونة في الأخير بخطة البحث.
- أما المبحث الأول: فهو تمهيدي وكان بعنوان بين يدي الآيات، تضمن مدخلا حول السورة (ترتيبها، مكّيها ومدنيها، عدد آياتها، أهم المؤلفات التي تدور في فلك السورة وأهم أقوال علماء السلف والمفسرين في السور) وثلاثة مطالب: (المناسبات، أسباب النزول، المكي والمدني).
- أما المبحث الثاني: والذي يحتوي على التفسير التحليلي للآيات ضمن أربعة مطالب: (الدراسات اللغوية والثحوية، المعنى الإجمالي، والقراءات الواردة، الأحكام والفوائد المستنبطة).
- والمبحث الثالث: التفسير الموضوعي للآيات وقد احتوى على ستة مطالب: (التعريف بلقمان، التعريف بالحكمة، التعريف بالشكر، الجانب العقدي في الوصايا، الجانب العبادي في الوصايا، والجانب الأدبي والأخلاقي فيها).
- ثم الخاتمة واحتوت على أهم التوصيات والنتائج التي تم التوصل إليها.
- وأخيرا خُتمت المذكرة بفهارس كاشفة عن محتوياتها.

والحمد لله أولاً وآخراً.

Summary

1- The dissertation in our hands is entitled: Objective Analytical Study of Lukman's recommendations to his Son in Surat Luqman (verses 12-19).

This work includes an introduction, three chapters, a conclusion and indexes.

The introduction shows the reasons of choosing the topic, its importance, the scientific method of research, the major difficulties encountered, in addition to related previous studies and finally the research plan.

2- The first chapter is an over view entitled "in the hands of the verses". It contains a short presentation of the Surah (its order, Mekki or Madani, number of verses, and the most important studies about it).

The first chapter also contains 3 points (the occasions, revelation causes, Mekki or Madani)

3- The second chapter which contains the analytical interpretation of verses has four points: (grammatical and linguistic studies, the general meaning, incoming readings, in addition to reached and derived benefits).

4- The third chapter is about the objective interpretation of the verses. It contains six points: (presentation of Luckman, definition of wisdom, definition of thank, in addition to the religions and moral sides included in the verses).

5- The conclusion contains the most important recommendations within reached results.

6- Finally, the thesis is concluded by indexes revealing its contents.

"Thank god First and Last"

الإهداء

إلى اللذين قال الله فيهما: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾ [سورة الإسراء، ٢٤]. - أسأل المولى

ﷺ - أن يرحم أبي، وأن يجمعنا به مع خير الوري، محمّد المصطفى ﷺ، كما أدعو الله أن يبارك في صحّة أمي، ويمدّ في عمرها، راجيا رضاها.

إلى أهل بيتي، زوجتي أمّ معتز، وأبنائي: المعتزّ بالله، معاذ، وسيرين، فقد تحمّلوا الكثير بسبب انشغالي عنهم طيلة سنوات الدّراسة، أرجو من الله أن يقرّ عيني بهم جميعا.

إلى كلّ طالب علم مبتدئ في علم التّفسير، ليعرف بعض أحوال أهل هذا العلم، ويحذو حذوهم ويتخلّق بأخلاقهم ويقتبس من علمهم .

إلى هؤلاء جميعا أهدي عملي المتواضع هذا.

شكر وتقدير

أحمد الله القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة، ١٥٢] ، فاللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإن من تمام شكره امتثال أمره، وقد أمر بشكر الوالدين في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُ الْوَالِدَيْنِ فِي عَمِينَ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، ١٤] . فَشَكَرَ اللهُ لوالدي.

كما أزجي الشكر لمشايخي وأساتذتي الأفاضل، وعلى رأسهم فضيلة الدكتور عبد الكريم بوغزالة، على ما أولانيه مدّة تتلمذي على يديه ثم إشرافه بعد ذلك على مذكرتي، من رعاية وتوجيه، فجزاه الله خيرا. ولكل من فضيلة الدكتور خالد حبّاسي رئيس قسم العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ، وكذا الأستاذ محمّد الصّالح غريسي، المسؤول عن شعبة التّفسير وعلوم القرآن، على ما يبذلانه من جهود لإنجاح صرح العلم. والشكر موصول لكلّ أساتذة المعهد، بجميع فروعهم.

ثمّ أختتم بشكر كلّ من أعانني، أو أفادني بفائدة، أو كتاب، أو دعاء، وحقّهم أعظم من أن يعبر عنه بيان أو يسطره بنان، فجزاهم الله خير الجزاء، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء، ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة آل عمران، ١٠٢]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة، فيه من الكنوز ما فيه، وإن المتنبع لعلم التفسير الذي يُعنى بكتاب الله تعالى دراسةً وتوضيحاً واستنباطاً سيقع حتماً على تلكم الكنوز من القصص والمواعظ والحكم التي أودعها الله تعالى كتابه الكريم، فهو سبحانه خلق الخلق، وهو -وحده- أعلم بهم وبما يُصلحهم وينفعهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك، ١٤].

وإن ما يتخبط فيه المجتمع من أزمات على الصُّعد كافة يرجع في أصله إلى الاهتزاز العقدي المتجلى في اضطراب علاقة الإنسان بخالقه، وضعف تطبيق شريعته التي تضمن للعبد حسن العلاقة مع الخلق والخالق، وتحول دون تزعزع المنظومة الأخلاقية في المجتمع المسلم، ولست أظن شيئاً يُصلح ذلك إلا الرجوع إلى القرآن الكريم جملةً، وما وصايا لقمان لابنه إلا وصفة من وصفات العلاج، وضرب من ضروب البلمس الشافي لعدد من هذه الأمراض، فقد احتوت على منهج رباني تربوي فريد، يحقق عمارة الكون مادياً وروحياً، ويحقق سعادة الفرد وصلاح المجتمع.

وهذه مقدّمةٌ لبحثٍ عنوانه:

(دراسة تحليلية وموضوعية لوصايا لقمان لابنه في سورة لقمان، الآيات 12 - 19)

حاوية أهمية هذه الدراسة وغايتها، وأسباب اختيار البحث، وإشكاليته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، ومخطّطه.

- أهمية الدراسة العلمية وغايتها:

لما كانت الذكرى تنفع المؤمنين كما قال ﷺ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الذاريات، ٥٥]، وكانت المواعظ هي تلكم الذكرى التي ترقق القلوب وتردّها إلى الحقّ، كان لزاماً على المؤمن أن يتعاهد نفسه باستماع تلك المواعظ حيناً بعد حين؛ وذلك لتحقيق وصيّة الله تعالى بالذكرى، حتّى تزكو نفسه وتصفو روحه.

لهذا شرع الله تعالى الوعظ والتذكير، ولعلّ من أوضح ما ورد في كتابه الكريم في هذا الجانب هو ما بين أيدينا من آيات كريمات، ندرسها لنعيش في ضلالها الوارفة الماتعة، ونفد من خباياها النافعة، فهي ليست مجرد قصة موعظة سيّدنا لقمان ﷺ لابنه، بل هي وصيّة رضيها الله لنا ولأبنائنا، أودع فيها نفعاً كبيراً وخيراً كثيراً.

وقد أولى المفسّرون في تفاسيرهم، والعلماء السابقون في مصنّفاتهم هذه الوصايا عنايةً خاصّة لا تخفى على ناظر، غير إنّها كانت منثورة في أمّهات كتب التفسير مختلطة بغيرها من آيات الذكر المنير، لم يسبق - فيما أعلم - أن أفرد لها مفسراً تصنيفاً، ولم يكن جامعوها من أهل التفسير، بل غلب على معالجاتها الجانب التربوي المحض من نوي هذا الاختصاص.

وتهدف الدراسة إلى ضمّ هذه الجواهر المنثورة والذُرر المنشورة في خيوط تفسيرية تحليلية وموضوعية، وجمع مادّة تربوية علمية أكاديمية ضمن التفسير التحليلي والموضوعي لهذه الوصايا تكون بمثابة وثيقة مرجعية لكلّ باحث تُقدّم له أهمّ ثمار هذه الوصايا مع الاقتصاد في الوقت والجهد، وتوفّر عليه الغوص في أمّهات كتب التفسير بحثاً وتنقيباً.

- أسباب اختيار الموضوع:

بعد بحثي الجادّ في المكتبات ومواقع الإنترنت المتخصصة، وسؤالي أساتذة وطلاباً في التفسير، لم أجد كتاباً أو بحثاً أكاديمياً مستقلاً تناول فيه مؤلّفه وصايا لقمان الحكيم من الناحية التفسيرية التحليلية والموضوعية، فدعاني فرض الكفاية أن أنفر لهذا العمل مُمثلاً أمر الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة

التوبة، ١٢٢]، راجياً من مُنزل هذا الكتاب أن ينظر إليّ نظرة تسديدٍ وتأبيد، ثمّ نظرة

قبولٍ ورضا، فكان أهم سببٍ لاختيار هذا البحث هو الواجب الشرعيّ المُلقى عليّ خاصّة؛ لأنّ الله تعالى نبّهني لهذا الأمر ومكّنني من خدمته.

ثمّ لكوني أخدم العمليّة التّعليميّة في المراحل الابتدائيّة، ولكون وصايا لقمان لابنه داخلة ضمن المنهاج التّدريسي لمادّة التّربية الإسلاميّة، فقد درّسته لمدّة ناهزت العشرين عاماً، وقفت خلالها على اختلافات عدّة في طريقة تناول هذه الوصايا من قبل الأساتذة مُعديّ المادّة العلميّة من جهة، والمتلقّين لها - وهم أبناؤنا- من جهة أخرى، فارتأيت أن أساهم بهذا البحث في إعداد مادّة علميّة رصينة تكون كقاعدة متينة تصلح لخدمة الأجيال وتليق بخدمة كتاب العزيز المتعال، وتقدّم للمعلّم مادّة تدرسيّة جيّدة محفوفة بالتيسير، تغنيه أن يتيه بين أمّهات كتب التّفسير، لاستقاء المعلومات في مرحلة الإعداد والتّحضير.

ولطالما راودتني هذه الفكرة من قبل، ونظرت فيها ونقّبت عنها وقلّبت فيها الفكر، حتى أدن الله أن يشتمل عليها هذا البحث، فيكون في وصايا لقمان الحكيم لابنه، التي رأيت أنّها من أكثر الوصايا في القرآن اشتمالاً على المنهج الفريد في إعداد المسلم الإعداد الذي يمكّنه من بلوغ غايات وجوده وخلقه، والتي تتمثّل في الاستخلاف⁽¹⁾، والاستعمار⁽²⁾، والتّسخير⁽³⁾، والتّعارف⁽⁴⁾، والاختلاف⁽⁵⁾، والعبادة⁽⁶⁾، وهداية الخلق إلى الخالق⁽⁷⁾...

بالرّغم من أهميّة هذه الوصايا وخطورتها لم أجد من خصّها بتأليف مستقلّ يقرب مآخذها ويسهّل ثمراتها.

لهذا كلّها، رغبت أن يكون لي السّبق في جمع هذه الوصايا في دراسة تحليليّة وموضوعيّة، وفق المنهجية الأكاديميّة المعروفة، ما يسر الله وأدّن.

- إشكالية البحث:

من خلال ما تقدّم فإنّ المعالجة البحثيّة لهذا الموضوع تتلخّص في:

(1) ما المعاني والتّفسيرات المختلفة، والدّروس المستنبطة، والفوائد المعبرة التي

تضمّنتها وصايا لقمان؟

(2) ما المواضيع والمحاوّر التي تدور حولها الوصايا؟

(1) وذلك في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...} [النور:55]، وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...} [البقرة:30].

(2) وذلك في قوله تعالى: {..هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...} [هود:61].

(3) وذلك في قوله تعالى: {تَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف:32]، وقوله: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ} [لقمان:20].

(4) وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} [الحجرات:13]

(5) وذلك في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...} [هود:118-119].

(6) وذلك في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56].

(7) وذلك في قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران:110].

- (3) ما هي الفوائد التربويّة التي تُؤخذ من هذه الوصايا ؟
(4) إلى أيّ مدى تُسهم هذه الوصايا في علاج واقع الأمة على المستوى الفردي والجماعي؟
(5) إلى أيّ مدى تُسهم هذه الوصايا في صياغة شخصيّة المسلم في جوانبها المختلفة؟

- الدّراسات السّابقة:

لم أجد كتاباً أو بحثاً أكاديمياً مستقلاً تناول وصايا لقمان من النّاحية التّفسيريّة التحليليّة والموضوعيّة، وأهمّ ما كُتب في الموضوع كان عبارة عن دراسات وبحوث حول وصايا لقمان من الجانب التّربويّ، من ذلك:

- (1) سلسلة مجالس التّذكير: وصايا لقمان الحكيم لابنه، لربيع بن هادي المدخلي: وهي عبارة عن تفسير للآيات بطريقة بسيطة دون تقسيم أكاديميّ، وكأنيّ بها تفرغ لمحاضرات صوتيّة، اعتنى بها وعرضها على الشّيخ فوّاز الجزائريّ.
 - (2) سلسلة تأملات في آيات: قصّة وصايا لقمان لابنه، لمصطفى العدوي: وقد كادت أن تتقاطع مع التّفسير التّحليليّ غير إنّها كانت على شكل عناوين مباشرة، ودون التّبويب المعهود في الرّسائل الجامعيّة، رغم احتوائها على مسائل عديدة في التّفسير، ترافق مع نقص في محتوى المذكرة، فمثلاً: عند شرح الكلمات أوردها ضمن جدول دون ذكر مصادرها، وهكذا... فهي بهذا لا تفي بغرض هذا البحث كونها ليست رسالة أكاديميّة جامعيّة.
 - (3) المضامين التّربويّة لوصايا لقمان - أسس استراتيجيّة لتعزيز الهوية في مواجهة تحديات العولمة -، للدّكتورة نواف بنت ناصر التّميمي: وهذه دراسة تتقاطع إلى حدّ ما مع مشروع بحثنا، لكنها لا يمكن أن تعوّضه، كما لا يمكن أن يكون بحثنا هذا تكراراً أو إعادة لها لكونها دراسة تربويّة محضة بعيدة عن منهجيّة البحث والتّأليف في التّفسير التّحليليّ والموضوعيّ جملة وتفصيلاً.
 - (4) الإعجاز البيانيّ في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، للدّكتور مصطفى المشني: وهي أيضاً دراسة بيانيّة تدور حول موضوع الوصايا بعيداً عن التّفسير التّحليليّ والموضوعيّ.
- وخلاصة الأمر: إنّ أغلب هذه الدّراسات تميل إلى الجوانب التّربويّة، وبيان ما يمكن استنباطه من الوصايا من دروس وعبر، أمّا ما نحن بصدد دراسته فهو بسط الدّراسة والتّحليل لهذه الآيات وفق منهجية التّفسير التّحليليّ والموضوعيّ.

- منهج البحث:

وإنّي بتوفيق من الله قد اعتمدت في هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ، المنهج التّحليليّ، والمنهج المقارن وكذا الاستقرائيّ، فالاستنباطيّ.

وقد استعملت المنهج الوصفي في المبحث التمهيدي عند الحديث عن سورة لقمان (بين يدي السورة)، وفي المبحث الثالث عند الكلام عن سيدنا لقمان صاحب الوصايا، أما المنهج التحليلي فأتى لجأت إليه عند مناقشة وتحليل الآيات ضمن مبحث التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي، أما المنهج المقارن فاستخدمته في مقارنة أقوال العلماء والمفسرين للوصول إلى أصحها وأرجحها وأشهرها وذلك بالاعتماد على تفاسير القدامى والمحدثين، أما المنهج الاستقرائي فجعلته وسيلتي في استقراء العدد الأكبر من التفسير والكتب المصنفة في موضوع الوصايا، لاستنباط ما يمكن الخروج به من ملح وفوائد ونتائج وخلاصات تزيد البحث قيمة وجمالاً.

تقتضي طبيعة هذه الدراسة الجمع بين المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي والمنهج الوصفي، وذلك بالتتبع الدقيق والبحث والتنقيب عن آراء المفسرين المتفرقة في كتبهم، وبعض أبحاث العلماء، والمختصين في رسائلهم الكثيرة والمتعددة، وذلك في المسائل والموضوعات محل الدراسة، ثم الاجتهاد في دراستها وتحليلها وتصنيفها وردها إلى العناصر المكوّنة لها لاستخلاص النتائج العلمية منها.

مع عنايتي بما يلي:

- 1- ترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها.
- 2- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما، فإن كانت كذلك اكتفيت حينئذ بالعزو إليهما.
- 3- الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث ممن لهم علاقة وثيقة بموضوعه، عدا المشهورين منهم، ككبار الصحابة والأئمة الأربعة، والمفسرين والقراء العشرة.
- 4- ذكر البيانات الكاملة لكل مصدر أو مرجع في الحاشية عند أول وروده في البحث، من حيث بيان: عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، واسم محققه إن كان محققاً، وعدد الطبعة، وتاريخها، واسم الناشر، ومكان النشر. وإذا استعملت أكثر من طبعة لنفس المرجع، أعدت ذكر البيانات بنفس الطريقة في أول استعمال.
- 5- تزويد البحث بفهارس: للمصادر والمراجع، للموضوعات، للآيات، للأحاديث، وللأعلام.

6- أما بالنسبة للنقول والإحالات في الحواشي فهي على النحو التالي:

- أ - إذا تصرف في النص المنقول تصرفاً يسيراً أوردته بين قوسي تنصيص وأشرت في الحاشية إلى أنّ النقل كان بتصرف يسير، وإذا تصرف فيه تصرفاً كثيراً ذكرت في الحاشية كلمة (انظر)، أما إذا لم أتصرف فيه مطلقاً بأن كان نقلاً حرفياً أوردته بين شولتين واكتفيت بالإشارة إلى المصدر أو المرجع دون كلمة (انظر).
- ب - إذا اقتبست من المصدر أو المرجع فكرة ما، أو استفدت منه معلومة، أو أملت إلى مرجع فأكثر توسّع في بحث المسألة التي كنت أحدث عنها، ذكرت في الحاشية كلمة (انظر).
- ج - إذا كررت النقل من المصدر أو المرجع دون أن يفصل بين النقلين نقل من مصدر أو مرجع آخر، ذكرت في الحاشية عبارة (المصدر نفسه).
- د - إذا وضعت بين الكلمات في النص المنقول حرفياً هذه النقاط الثلاث (...)، سواء في المتن أو الحاشية، فإن ذلك يعني أنّ هناك كلاماً محذوفاً تم الاستغناء عنه طلباً للاختصار، أو لعدم الفائدة من ذكره.

هـ - إذا احتاج النص المنقول حرفياً إلى إضافة كلمة؛ زيادة في الإيضاح، أو إزالة لإشكال في المعنى، وضعتُ هذه الكلمة بين هاتين المطّتين - ... - .

تنبيه:

فهذا جهدٌ بشريٌّ، فما كان فيه من حقٍ وصوابٍ فمن الله وحده، وله الحمد والثناء على توفيقه، وما كان فيه من خطأٍ وتقصيرٍ فمَنِّي ومن الشيطان، واستغفر الله وأتوب إليه منه. وأسأل الله أن يلهمني الرشد والصواب، وأن يرزقني إخلاص النية وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

- مخطّط البحث:

• **المقدمة:**

- أسباب اختيار الموضوع

- المنهج العلمي المتبع في البحث

- مخطّط البحث

- أهمّ الصّعوبات التي واجهت الباحث

- الدراسات السابقة

- كلمة شكر

المبحث الأول: بين يدي الآيات

تمهيد

1- اسم السورة

2- عدد آياتها وكلماتها وحروفها

3- مكان نزول السورة

4- سبب نزولها

5- محور السورة

6- مناسبة اسم السورة مع محتواها

7- أقوال العلماء والمفسرين حول السورة

8- بين يدي الوصايا

المطلب الأول: المناسبات في الآيات

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها (الافتتاح والاستهلال)

الفرع الثاني: مناسبة الآيات لما بعدها

الفرع الثالث: مناسبة الآيات في ما بينها

المطلب الثاني: أسباب نزول الآيات

المطلب الثالث: بيان المكي والمدني في السورة

المبحث الثاني: التفسير التحليلي للآيات

المطلب الأول: الدراسة النغوية والثبوية والبلاغية

- الفرع الأوّل: التّأصيل اللّغوي للآيات
- الفرع الثاني: التّحليل النّفطي والجُملي للآيات
- الفرع الثالث: شواهد من إعراب الآيات
- الفرع الرابع: البلاغة في الآيات
- المطلب الثاني: المعنى الاجمالي للآيات
- الفرع الأوّل: المقطع الأوّل (الآيات من 12 إلى 15، سورة لقمان)
- الفرع الثاني: المقطع الثاني (الآيات من 16 إلى 19، سورة لقمان)
- المطلب الثالث: القراءات الواردة في الآيات
- الفرع الأوّل: القراءات المتواترة
- الفرع الثاني: القراءات الشاذة
- المطلب الرابع: استنباط الأحكام الواردة في الآيات
- المبحث الثالث: التفسير الموضوعي للآيات
- المطلب الأوّل: التّعريف بلقمان صاحب الوصايا
- الفرع الأوّل: ما قاله المفسّرون في لقمان
- الفرع الثاني: ترجمة وجيزة لسيدنا لقمان
- 1- اسمه ونسبه
 - 2- وقد اختلف في نسبه
 - 3- أوصافه
 - 4- صفاته
 - 5- مهنته
- الفرع الثالث: سيدنا لقمان بين الثبوة والحكمة
- الفرع الرابع: بعض من حكم لقمان
- المطلب الثاني: التّعريف بالحكمة
- الفرع الأوّل: معنى الحكمة لغة واصطلاحًا
- الفرع الثاني: ماجاء حول الحكمة
- 1- في القرآن الكريم
 - 2- في السُّنة النبويّة

- 3- في أقوال السلف وأهل العلم
- 4- في فوائدها
- 5- في أنواعها ودرجاتها وأركانها

المطلب الثالث: التعريف بالشكر

الفرع الأول: الشكر في اللغة والاصطلاح

الفرع الثاني: الآيات الواردة في الشكر

- 1- يكون فيها لفظاً أو معنى
- 2- يكون فيها رجاء اقتضاء أمر
- 3- يكون فيها منبع التفكير في آيات الكون
- 4- يكون فيها ثمرة للشاكر نفسه

الفرع الثالث: من الأحاديث الواردة في الشكر

الفرع الرابع: من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (الشكر)

المطلب الرابع: الجانب العقدي في الوصايا

الفرع الأول: أهمية التوحيد في حياة المسلم

الفرع الثاني: التحذير من الشرك

- 1- التعريف بالشرك
- 2- من مظاهر الشرك
- 3- من معاني لفظ الشرك في القرآن الكريم
- 4- الآيات الواردة في الشرك
- 5- أخطار الشرك
- 6- أحكام الشرك

المطلب الخامس: الجوانب التعبديّة في الوصايا

الفرع الأول: برّ الوالدين

الفرع الثاني: مراقبة الله تعالى

الفرع الثالث: إقامة الصلّاة

- 1- تعريف الصلّاة
- 2- من معاني كلمة الصلّاة في القرآن الكريم
- 3- الآيات الواردة في الصلّاة

الفرع الرابع: تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب السادس: الجانب الأدبي والأخلاقي في الوصايا

الفرع الأول: الصّبر على المشاقّ

- 1- تعريف الصّبر ومراتبه وأنواعه
- 2- ما ورد في الصّبر من نصوص الكتاب العزيز
- 3- الأحاديث الواردة في الصّبر والمصابرة
- 4- المثل التّطبيقي من حياة النبي ﷺ في الصّبر والمصابرة
- 5- من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الصّبر والمصابرة
- 6- من فوائد الصّبر والمصابرة

الفرع الثاني: التّواضع وعدم التّكبر

أولاً: التّكبر

- 1- تعريف التّكبر لغة واصطلاحاً
- 2- الكبر في القرآن الكريم
- 3- الكبر في السنة النبوية
- 4- أقوال السلف والعلماء في الكبر
- 5- من آثار الكبر
- 6- حكم الكبر

ثانياً: التّواضع

- 1- التّواضع لغة واصطلاحاً
- 2- الفرق بين التّواضع وبعض الصّفات
- 3- التّواضع في القرآن الكريم

● الخاتمة: (وفيها نتائج البحث، والتوصيات)

● قائمة المصادر والمراجع

● الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة
 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
 - فهرس الأعلام
 - فهرس الموضوعات
- هذا، ونسأل الله تعالى توفيقاً من لدنه وسداداً، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

والحمد لله ربّ العالمين

المبحث الأول: بين يدي الآيات

تمهيد: وهذا بعض ما جاء حول سورة لقمان التي حوت آيات وصايا لقمان.

1- اسم السّورة:

إنّ تسمية هذه السّورة باسم لقمان - لا شكّ - لها دلالتها في فضل لقمان ومكانته الخاصّة لدى الخالق ﷻ؛ حيث امتدحه خلالها، وأنزل فيه وفي وصاياه لابنه آيات تُتلى ويُتعبّد بتلاوتها وإتباع مضامينها إلى يوم القيامة.

ولقد سمّيت بهذا الاسم بإضافتها إلى لقمان لأنّ فيها ذكر لقمان وجملا من حكمته التي أدب بها ابنه. وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبه عرفت بين القراء والمفسّرين يقول العلامة ابن عاشور: لم أقف على تصريح به فيما يُروى عن رسول الله ﷺ بسند مقبول¹.

2- عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

هذه السّورة هي السّابعة والخمسون في تعداد نزول السّور، نزلت بعد سورة الصّافات وقبل سورة سبأ، وعدّت آياتها ثلاثا وثلاثين في عدّ أهل المدينة ومكة، وأربعة وثلاثين في عدّ أهل الشام والبصرة والكوفة²، وعدد كلماتها خمسمائة وخمسون، عدد حروفها ألفان ومائة وواحد وعشرون.

3- مكان نزول السّورة:

روى البيهقي في دلائل الثبوت عن ابن عباس ؓ: أنزلت سورة لقمان بمكة³.

4- سبب نزولها:

اختار المراغي في تفسيره: أنّ سبب نزولها هو أنّ قريشا سألت النبي ﷺ عن قصّة لقمان مع ابنه وعن برّه والديه، فنزلت⁴.

وقيل نزلت في اللّضر بن الحارث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغثيه، هذا خير مما يدعوك

1 - اللّحرير والتهوير «تحرير المعنى السديد وتهوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج2، ص137، المؤلف: محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

2 - المرجع نفسه، ج20-21، ص138.

3 - المرجع نفسه، ج20-21، ص137.

4 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص71، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الأولى/1365هـ.

إليه محمّد من الصلّاة والصيام وأن تقا تل بين يديه، فنزلت¹.

5- محور السّورة:

إنّ المحور الرئيس لهذه السّورة يتجسّد في المقطع الذي يحوي الآيات من: 12 إلى 19 من سورة لقمان، بما فيه من بيان نعمة الحكمة على لقمان وما تضمّنته تلك الحكمة من وصايا عظيمة نافعة لابنه ولكل من ألقى السّمع وهو شهيد من بعده مع التّوجيه لشكر النعمة، فكان بياناً صريحاً بنعمة الحكمة، وأمرأ واضحاً بشكر تلك النعمة².

6- مناسبة اسم السّورة لمحتواها:

كون أنّ السورة سمّيت بسورة لقمان، هذه إشارة تدلّ على أنّ ما جاء فيها يدور حول وصايا لقمان³

7- أقوال العلماء والمفسّرين حول السّورة:

قال الإمام السيوطي حول سورة لقمان:

أقول: ظهر لي في اتّصالها بما قبلها مع المؤاخاة في الافتتاح بـ: (الْم) أنّ قوله تعالى هنا: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة لقمان، ٣-٤]. متعلق بقوله في آخر سورة الروم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ .. ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الروم، ٥٦]. فهذا عين إيقانهم بالآخرة، وهم المحسنون الموقنون بما ذكر وأيضاً ففي كلتا السّورتين جملة من الأديان وبدء الخلق وذكر في الروم: ﴿... فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الروم، ١٥]. وقد فسّر بالسّماع وفي لقمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ... ﴿٦﴾﴾ [سورة لقمان، ٦]. وقد فسّر بالغناء، وآلات الملاهي. انتهى⁴.

1 - لباب القبول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص 169، الطبعة الرابعة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.
2 - التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، من إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: مصطفى مسلم، ج6، ص 35، جامعة الشارقة، 1431هـ - 2010م.
3 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: 885هـ، ج15، ص 140 - 142، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 22.
4 - أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: 1، ص122.

يقول سيّد في - الظلال - عن سورة لقمان: "هذه السّورة المكيّة نموذج من نماذج الطريقة القرآنيّة في مخاطبة القلب البشري"¹.

ويقول سعيد حوى في تفسيره - الأساس - ضمن كلمة حول سورة لقمان ومحورها: "إنّ سورة لقمان تفصّل - كزمرتها - في مقدّمة سورة البقرة حتّى إنّ مقدمتها لتكاد تكون نفس الآيات الأولى من مقدّمة سورة البقرة مع تركيز خاصّ حول الاهتداء بكتاب الله"².

ثمّ يضيف قالاً: "... ففي السّورة نموذج للحكمة في الكتاب، ونموذج للحكمة عند الحكيم، وفي السّورة كذلك تعريف لنا على ماهية الحكمة، وفيها أيضاً بيان لما ينبغي أن يقابل الإنسان به نعمة الحكمة من شكر"³.

أخرج صاحب التّحرير والتّنوير عند تفسيره لسورة لقمان الآتي: روى البيهقي في دلائل الثّبوة عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنزلت سورة لقمان بمكة⁴.

وجدير بالذكر أن ننقل هنا ما ذكره الشّيخ محمّد علي الصّابوني في مقدّمة تفسيره لسورة لقمان:

هذه السّورة الكريمة -سورة لقمان - من السّور المكيّة، التي تعالج موضوع العقيدة، وتعنى بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي (الوحدانيّة، والثّبوة، والبعث والثّشور) كما هو الحال في السّور المكيّة.

ابتدأت السّورة الكريمة بذكر الكتاب الحكيم ، معجزة محمّد الخالدة ، الباقية الدّائمة على مدى الزّمان ، وأقامت الحجج والبراهين على وحدانيّة ربّ العالمين ، وذكرت دلائل القدرة الباهرة ، والإبداع العجيب ، في هذا الكون الفسيح ، المحكم النّظام ، المتناسق في التّكوين ، في سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، ونهاره وليله ، وفي جباله وبحاره ، وأمواجه وأمطاره ونباته وأشجاره ، وفي سائر ما يشاهده المرء من دلائل القدرة والوحدانيّة ، ممّا يأخذ القلب ، ويبهر العقل ، ويواجه الإنسان مواجهة جاهرة ، لا يملك معها إلاّ التّسليم بقدرة الخالق العظيم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ أَنْتَ أَلَكْتَبِ

أَلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة

لقمان , ١-٥].

1 - في ظلال القرآن، سيّد قطب، مج5، ج19-25، ص2780، بيروت دار الشروق، الطبعة العاشرة، 1402 هـ/ 1982 م.
2 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، مج8، ص4305، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1/ 1405 هـ.
3 - المرجع نفسه، مج8، ص4307
4 - التّحرير والتّنوير، الطاهر بن عاشور، ج20-21، ص137.

كما لفتت أنظار المشركين إلى دلائل القدرة والوحدانية منبئة في هذا الكون البديع، وهزت كيانهم هزاً، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة لقمان، ١١].

وختمت السورة الكريمة بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة لقمان، ٣٣] ¹.

8- بين يدي الوصايا:

إن أهمية وصايا لقمان ومصادقتها نابعة من أمور عدة أهمها:

- نابعة من مكانة لقمان نفسه؛ فهي تنطلق من شخصية ذات فضل ومنزلة، صاحب تلك الوصايا أنزل الله فيه سورة تحمل اسمه، امتدحه فيها الرب سبحانه وتعالى؛ فأخبر أنه رجل أوتي الحكمة من لدن الباري ﷻ.

- وتلك الحكمة التي أوتيتها لقمان، كما تقدم، تحمل مضامين وقيماً، تؤكد على أهمية تلك النصيحة؛ فهي نصيحة مبرأة من العيب، صاحبها قد أوتي الحكمة ². وكان من متطلبات تلك الحكمة أن يكون الإنسان الحكيم شاكراً في نفسه واعظاً لغيره، ذلك لأن علو منزلة الإنسان في الحكمة أن يكون كاملاً في نفسه ومكماً لغيره.

- كون تلك الوصية موجّهة إلى ابنه؛ فهي رمز لمصادقية النصيحة تلك، "وإنها لموعظة غير مدهمة؛ فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً. والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة عن كل ظنة" ³

- كما أنّ مصادقية تلك الوصايا تبدو جلية ونحن نسمع في صدرها وبين ثناياها كلمة: "يا بُنَيَّ" التي تحمل دلالات بعيدة؛ فحرف الِداء يُثير الحسّ، ويُوقظ الشّعور، ويجلب الانتباه، وكلمة "بُنَيَّ" تصوّر لنا أسمى معاني الحبّ، والرّحمة والشفقة، وتفيض بأروع مشاعر العطف والحنان، ولو خلا الكلام منها، وأهمّل التخصيص بالِداء لما أدت الغرض نفسه ⁴.

1 - صفوة التفاسير، محمّد علي الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة 4، 1402هـ-1981م، ج2، ص486 .

2 - التفسير الأدبي لسورة لقمان، كامل سلامة الدقس، ص22، الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق (1397 هـ- 1977 م).

3 - في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص2788.

4 - وصايا لقمان وثيقة جمعت أصول التربية الإسلامية، محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، مجلة الخفجي، ذو الحجة 1417 هـ/ مايو 1997 م.

وإذا كان لقمان حريصاً كلّ الحرص على تزويد ابنه بكلّ خير يرتجيه له في دينه ودينياه، كان مأخوذاً برحمة الأبوة، مترفقاً معه في ألين أسلوب، حتّى ليدعوه في وصيته بلهجة الوالد بقوله: يا بنيّ، يا بنيّ، يا بنيّ!!! هتافات ثلاث هتف فيها لقمان بابنه ليستيقظه من غفلته ويستحثّه على الخير.. (يا بني) بصيغة التّصغير، ليتجلى فيه الحنوّ الأكمل؛ فإنّ الرّحمة في صغر الابن أوفر منها بعد اكتماله .. فالتصغير هنا تصغير إشفاق ورحمة ومحبة¹.

- وكون تلك الوصايا وردت في مقام الجدّ والوعظ تعطي دلالات ومضامين ترتبط بالموقف فقوله: (وَهُوَ يَعْظُهُ) جملة حالية تعود إلى أصل الموضوع بمزيد من التّقرير فوعظه في اللّغة بمعنى: "نصحه وذكره ما يلين قلبه من الثّواب والعقاب، وما يسوقه إلى التّوبة إلى الله وإصلاح السّيرة وأمره بالطّاعة ووصّاه بها"².

والكلام في سياق الوعظ يختلف عنه في غيره؛ فالوعظ كي يحقق أهدافه لا بدّ وأن يهتمّ به ويرمز على انتفاء أكثر الأساليب فاعليّة وتأثيراً في النفوس³.

المطلب الأوّل: المناسبات في الآيات

إنّ علم المناسبات علم يُعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السّور ببعضها، انطلاقاً من مقاصدها وأغراضها، للوصول إلى اتّساق معانيها، وانتظام مبانيها.

كما هو معروف في اصطلاح المفسّرين: هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقّف الإجابة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها⁴.

وأسوق في هذا المقام بعض تعريفات العلماء للمناسبة المناسبة:

- تعريف ابن العربي⁵ حيث قال: هو "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني"⁶.

1 - التفسير الأدبي لسورة لقمان، كامل سلامة التّقس، ص 99 - 100.

2 - لسان العرب، مادة وعظ، محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

3 - التفسير الأدبي لسورة لقمان، كامل سلامة التّقس، ص 99.

4 - نظم الثّر في تناسب الآيات والسّور، برهان الثّين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: 885هـ، ج 1، ص 5.

5 - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ أحد الأعلام . ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة، صنف في أحكام القرآن؛ وشرح الموطأ؛ وشرح الترمذي، وغير ذلك، ولي القضاء في بلده، مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. (ينظر تاريخ الإسلام للذهبي 159/37؛ وطبقات المفسّرين للسيوطي، ص 105).

6 - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، 35/1. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: 4.

- وقد عرّف الزركشي¹ المناسبة بقوله: "ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول... (ثم قال) ... كذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما عام، أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني"².

- كما عرّفه البقاعي³ بقوله: "علم تعرف منه علل الترتيب"⁴.

فبعد ذكر هذه التعريفات، يتبين أنّ تعريف ابن العربي هو الأحسن، فهو أخصّ من تعريف الزركشي من حيث متعلقه، وأشمل من تعريف البقاعي، ولكن مع هذا يظلّ التعريف غير جامع، فلو أضيف إليه بعض العبارات لأصبح في نظر الباحث تعريفاً جامعاً مانعاً.

فلو قيل: (هو علم يبحث فيه عن ارتباط أي القرآن وسوره بعضها ببعض، حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني)، لكان هذا التعريف شاملاً لجميع أنواع المناسبات، وعلم أنّ هذا علم مستقلّ من أنواع علوم القرآن.

ولهذا نقول: إنّ علم المناسبات علم جليل القدر، كثير الثّفع، يساعد على فهم المعاني، وإدراك الثّرابط بين الآيات والسّور، يزيل اللبس، ويرفع الاضطراب والتنافر بين أي الكتاب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما يوقّف من خلاله على وجه من وجوه الإعجاز.

وتكمن أهميّة هذا العلم في كونه يغوص في أعماق المعاني والآيات، وترتيبها، وعزل مواقعها، وفي الكشف عن الدرر والكنوز المتعلّقة في الرّبط والثّرابط بين الآيات والسّور.

وقد دعا الله ﷻ إلى تدبّر القرآن الكريم وفهمه، وجمع ذلك كلّيه في كلمتين قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ [سورة النساء، 82].

كما أنّ معرفة المناسبة بين السّور والآيات، يساعد على إدراك مقاصد القرآن العظيم، وتذوّق نظمه، وفهمه، والتّرجيح بين الآراء.

1 - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهجي ، أبو عبد الله بدر الدين ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمئة للهجرة ، عالم بفقّه الشافعيّة والأصول ، تركي الأصل مصري المولد والوفاء ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : لقطّة العجلان ، والبحر في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن ، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمئة . [ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 167/3 ؛ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ص446] .

2 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1، ص35.

3 - برهان الدّين أبو الحسن ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الشافعي العلامة المحدث الحافظ ، ولد سنة تسع وثمانمئة تقريباً ، وله تصانيف كثيرة حسنة منها : كتاب نظم الدرر في مناسبة الآي والسّور ؛ والنكت على شرح ألفية العراقي ؛ والأصل الأصيل في تحريم النّقل من التّوراة والإنجيل، مات سنة خمس وثمانين وثمانمئة . [ينظر الضّوء اللامع لأهل القرن التاسع للسّخاوي ج1، ص101، وطبقات المفسّرين للأدنهوي ص347] .

4 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور للبقاعي ج1، ص6.

يقول الزركشي: " وفائدته: جعل أجزاء الكلام، بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته".¹

ثم إنَّ عدم الاهتمام بالمناسبات قد يوقع في فهم خاطئ، أو فهم بعيد للمعنى. من هنا تتجلى أهمية المناسبات، ويُعرف أنَّ هذا العلم عزيز قلَّ خوض العلماء في بحوره لصعوبة الغوص في معانيه، أو لدقة الرّابط بين جملة وأجزائه.

وعليه حاولت أن اقتفي أثار علمائنا الأفاضل وأنقب في كتب التفسير لأستخرج المناسبات الممكنة في آيات وصايا لقمان والبداية مع:

الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها (الافتتاح والاستهلال)

في البداية الملاحظ أنَّ وصايا لقمان تتناسب مع افتتاحية السّورة، فالسّورة افتتحت بقوله تعالى: ﴿الْم ۝ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [سورة لقمان، 1-5]، ووصايا لقمان الذي أتاه الله الحكمة، وحرصه على هداية ابنه، والرّحمة التي تجلّت في تلك الوصايا إنّما هي نموذج، كما سيرد، لما في هذا الكتاب الحكيم الذي أنزله الله هدىً للسّالكين يهديهم على الصّراط المستقيم، وكتب في ثناياه الرّحمة لمن سار فيه في الحياتين الأولى والآخرة. ومنهج الفلاح وأسبابه ظاهرة لنا أيضاً في افتتاحية السّورة، وهو ما تضمّنته أيضاً تلك الوصايا.

لما ثبتت حكمته سبحانه وأدبه أبعدهم (الظالمون) عنها بما قصّ عليهم من الجهل وغباوة العقل وأتاها من تاب، واعتصم بآيات الكتاب، توقع السّامع الإخبار عن بعض من أتاه الحكمة من المتقدّمين الذين كانوا من المحسنين فوضعوا الأشياء في مواضعها بأن آمنوا وعملوا الصّالحات، فأعطانا مثالا حيا لشخصية حقيقية تتّصف بالحكمة عاشت في زمان سابق وهي شخصية لقمان الحكيم ووصفه بالحكمة ثم ذكر جانباً من وصايا لابنه التي تتّصف بالحكمة ولا تصدر إلا من عارف حكيم.²

لما ختمت سورة الرّوم بالحثّ على العلم، وهو ما تضمّنه هذا الكتاب العظيم والأمر بالصّبر والثّمسك بما فيه من وعد والنهي عن الأطماع لأهل الاستخفاف في المقاربة

1 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1، ص36.

2 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور، برهان الدّين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، ج15، ص140.

لهم في شيء من الأوصاف، وكان ذلك هو الحكمة، كان أول هذه السورة الآية: ﴿الَمْ

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة لقمان، ١-٢].¹

يقول ابن عاشور: إذا كانت هذه السورة بسبب سؤال قريش عن لقمان وابنه بهذه الآيات، الى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ... لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، ١٢-

١٩]. بمنزلة مقدمة لبيان أنّ مرمى القرآن من قصّ ما فيها من علم وحكمة وهدى وأنها مسبوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها فكان سؤالهم نفعاً للمؤمنين.²

يقول الألوسي في روح المعاني: " ووجه مناسبتها لما قبلها على ما فيه أنه قال تعالى فيما قبل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتٍ لِيَقُولَنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [سورة الروم، ٥٨]. وأشار الى ذلك في مفتتح

هذه السورة، وأنه كان في آخر ما قبلها: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ

مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتٍ﴾ [سورة الروم، ٥٨]. وفيها ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلٍ

مُسْتَكْبِرًا...﴾ [سورة لقمان، ٧]. فبعد أن ساق هذا الرّبط بين الآيات لاستنتاج

المناسبة لما قبلها دلل على ذلك بما نقله عن السيوطي فقال:

وقال جلال الدين السيوطي: ظهر لي في اتصالها بما قبلها مع المآخاة في الافتتاح

(الَمْ). إنّ قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة لقمان، ٣-٤]. متعلق بقوله تعالى فيما

قبل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ...﴾

[سورة الروم، ٥٦]. عين إيقانهم بالآخر وهم المحسنون الموصوفون بما ذكر، وأيضاً

ففي كلتا السورتين جملة من الآيات وابتداء الخلق"³.

ثم يضيف الألوسي قائلاً: " وما أطف هذا الاتصال من حيث أنّ السورة الأولى ذكر

فيها مغلوبية الروم وغلبتهم المبنيتين على المحاربة بين ملكين عظيمين من ملوك

الدنيا فحاربها عليها وخرج بذلك عن مقتضى الحكمة فإنّ الحكيم لا يحارب على دنيا

دنيئة لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة وهذه ذكر فيها قصة عبد مملوك على

كثير من الأقوال حكيم زاهد في الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت إليها أوصى ابنه

1 - المرجع نفسه، ج15، ص141.

2 - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج20 - 21، ص140.

3 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: 1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس)، ج11، ص65.

بما يأبى المحاربة ويقتضي الصبر والمسالمة وبين الأمرين من التّقابل ما لا يخفى¹.

ومما قاله المراغي في تفسيره ما يدلّ على وجه مناسبتها أيضا بين آيات وصايا لقمان والسّورة التي قبلها (الرّوم) ما يدور في هذا الفلك إيه ذكر في السّورة التي قبلها محاربة ملكين عظيمين لأجل الدنيا، وذكر هنا قصّة عبد مملوك زهد فيها وأوصى ابنه بالصبر والمسالمة، وذلك يقتضي ترك المحاربة، وبين الأمرين التّقابل وشاسع البون كما لا يخفى².

ثمّ ينتقل الشّيخ المراغي في موضع آخر من تفسيره عند الحديث عن المناسبة بين الآيات وما قبلها فينقل كلاما في غاية الرّوعة والجمال.

يقول الشّيخ: " بعد أن بيّن فساد اعتقاد المشركين بإشراك من لا يخلق شيئا بمن خلق كلّ شيء، ثمّ بيّن أنّ المشرك ظالم ضالّ، أعقب ذلك ببيان نعمه الظاهرة في السّموات والأرض والباطنة من العلم والحكمة ترشد إلى وحدانيته وقد آتاه لبعض عباده كلقمان الذي فطر عليها دون نبيّ يرشده، ولا رسول بعث إليه"³.

الفرع الثاني: مناسبة الآيات لما بعدها

وقد ختم الله هذه السّورة بتلك الآية التي تضمّنت أمورا خمسة تتعلّق بغيبيات اختص الله وحده بمعرفتها؛ "طوى علمها عن جميع الخلق، فلا يعلمها نبيّ مرسل، ولا ملك مقرب فضلا من غيرهما"⁴؛ فأخر السّورة إذا تأكيد لعلم الله وقدرته. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة لقمان، ٣٤].

وهو ما قد ورد أيضا ضمن وصايا لقمان لابنه، وذلك في قوله: ﴿ يَبْنِيْ إِنَّهَا

إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة لقمان، ١٦].

ذكر الله أمر لقمان لابنه بالعبادة والتّذلل، وأنّ إليه المرجع وهو عالم بكلّ شيء قادر على كلّ شيء و أنّ كلّ التّعم منه، فلا ينبغي لأحد أن يفخر بما آتاه الله، و لو وكلّ فيه إلى نفسه لم يقدر على شيء منه محذرا من سلبها عن المتكبر وإعطائها للذليل

1 - المرجع نفسه، ج11، ص65.

2 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص72.

3 - المرجع السابق، ج21، ص79.

4 - تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله السّعدي (ت: 1376هـ)، ج1، ص653، المحقق: عبد الرّحمن بن معلا اللّويح، الناشر: مؤسّسة الرّسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 1.

المحتقر، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [سورة لقمان، ٢٠]. فتعلموا أنّ الكلّ خلقه، ما لأحد ممّن دونه في شيء، وأنه محيط بكل شيء قدرة وعلماً فهو قادر على تعسيره كما قدر على تسخير¹.

الفرع الثالث: مناسبة الآيات في ما بينها

يقول ابن عاشور: ففي تعقيبي (يأت بها الله) بوصفه (اللطيف) إيماء إلى أنّ الثّمّن منها وإملاكها بكيفية دقيقة تناسب فلق الصّخرة واستخراج الخردلة منها مع سلامتهما وسلامة ما اتّصل بهما من اختلال نظام صنّعه. وهنا قد استوفى أصول الاعتقاد الصّحيح². وهذا الاستنباط من الشّيخ غاية في الدّقة وبعد النظر. كما يقول أيضاً: ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والذّهبي عن المنكر بملازمة الصّبر أنّ الأمر بالمعروف والذّهبي عن المنكر قد يجزّان للقائم بهما معاداة من بعض النّاس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جرّاء الأمر بالمعروف والذّهبي عن المنكر أو شك أن يتركهما³.

وهذا صاحب نظم الدرر، يدلي بدلوه في مسحة إبداعية جمع فيها بين الجانب البياني للآيات، وما تحمله من مسائل العقيدة، بقوله: ولما كان أصل توفية حق الحقّ تصحيح الاعتقاد وإصلاح العمل، وكان الأوّل أهمّ، قدّمه فقال: (يا بني) فخاطبه بأحبّ ما يخاطب به، مع إظهار التّرحم والتّحنن والشفقة، ليكون ذلك أدعى لقبول التّصح (لا تشرك) أي لا توقع الشّرك لا جلياً ولا خفياً، ولما كان في تصغيره الإشفاق عليه، زاد ذلك بإبراز الاسم الأعظم الموجب لاستحضار جميع الجلال، تحقيقاً لمزيد الإشفاق فقال: (بالله) أي الملك الأعظم الذي لا كفؤ له، ثمّ علّل هذا الذّهبي بقوله: (إنّ الشّرك - أي بنوعيه - لظلم عظيم) أي فهو ضدّ الحكمة، لأنّه وضع الشّيء في غير محله، فظلمه ظاهر من جهات عديدة جدّ.

ثمّ يضيف في الأخير قائلاً: ولما فرغ من تأكيد ما قاله لقمان عليه السّلام في الشّكر والشّرك فعلم ما أوتي من الحكمة، وختمه بعد الوصية بطاعة الوالد بذكر دقيق الأعمال وجليلها، وأثها في علم الله سواء، حسن جدّ الرجوع إلى تمام بيان حكمته، فقال بادئاً بما يناسب ذلك من دقيق العلم ومحيطه المكمّل لمقام التّوحيد،

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، برهان الدّين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، ج15، ص141.

2 - التّحرير والتّوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص164.

3 - المرجع نفسه، ج20 - 21، ص165.

وعبر بمتقال الحبة لأنه أقل ما يخطر غالباً بالبال، وهي من أعظم حاث على التوحيد
الذي مضى تأسيسه¹.

المطلب الثاني: أسباب نزول الآيات

ما جاء من أسباب النزول في آيات وصايا لقمان، كان ما يتعلق بقوله تعالى:
﴿وإن جهنم على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهم وصاحبهما في الدنيا
معروفاً وأتبع سبيل من آتاب إني ثم إني مرجعكم فأنبيئكم بما كنتم تعملون ﴿١٥﴾﴾
[سورة لقمان، ١٥].

يقول الواحدي في - أسباب النزول -: "نزلت في سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه على
ما ذكرنا في سورة العنكبوت، حيث قال في موضع العنكبوت هذا: قال المفسرون:
نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمئة: يا سعد، بلغني
أذك صبوت، فوالله لا يظنني سقف بيت من الضح والريح، ولا أكل ولا أشرب حتى
تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه. وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد، وصبرت
هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل حتى خشي عليها فأتى سعد النبي
صلى الله عليه وسلم، وشكا ذلك إليه. فأنزل الله تعالى هذه الآية، والتي في لقمان، والأحاف"².
ينقل صاحب تفسير البحر المحيط عن القرطبي قوله: وقال القرطبي:
"والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا في سعد بن أبي وقاص، وعليه جماعة
من المفسرين"³.

وبالرجوع إلى تفسير أبي حيان لآية العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ
جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِيَّيَّكَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة العنكبوت، ٨]. يذكر في سبب نزولها أنه جاء في جامع
الترمذي: أنها نزلت في "سعد بن أبي وقاص" آلت أمه أن لا تطعم ولا تشرب حتى
تموت أو يكفر⁴.
فيتحصل عندي على ما قال المفسرون أن الآيتين: (العنكبوت -8-، لقمان -15-)
نزلتا في "سعد بن أبي وقاص".

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدّين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، ج15، ص161 - 162.
2 - أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، عصام بن
عبد المحسن الحميدان، ج1، ص340-341، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
3 - تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأن، (المتوفى: 745هـ)، ج7، ص182، تحقيق: الشيخ عادل أحمد
عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.
4 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص137.

أما في قوله تعالى من نفس الآية: ﴿... وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ...﴾، فنزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، سعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعاً، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: آمنت وصدقت محمداً؟ فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنوا وصدقوا. فأنزل الله تعالى يقول لسعيد: ﴿... وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ...﴾ يعني أبا بكر.

وكذا ما تعلق بالآية: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان، ١٣]. قال البخاري حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام، ٨٢]. شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان ﴿... يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان، ١٣]. ورواه من حديث الأعمش به¹.

هذا ما وقفت عليه من أسباب نزول آيات وصايا لقمان وذلك من خلال تصفيحي لمختلف التفاسير المتقدمة منها، والحديثية.
غير أنني في هذا المقام ومن باب تنويع المصادر وتعميم الفائدة سأنقل أسباب نزول الآيات ومناقشتها من خلال ما جاء في كتاب: "المحرر في أسباب نزول القرآن، من خلال الكتب التسعة"²:
قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان، ١٣].

1 - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - عدد الأجزاء: 9، كتاب التفسير، باب: (لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: 13]، ح رقم: 4776، /المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261 هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5، كتاب الإيمان، بابُ صدق الإيمان وإخلاصه، ح رقم: 124.
2 - المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراسة، خالد بن سليمان المزيني، ج2، ص790، الناشر: دار ابن الجوزي، التمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006 م)، عدد الأجزاء: 2.

* سَبَبُ النَّزُولِ:

أخرج البخاريّ والنسائي عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ -: أَيْنَا لَمْ يَظْلَمُوا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وأخرجه البخاريّ ومسلم والترمذي والنسائي عنه بلفظ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أَيْنَا لَا يَظْلَمُ

نَفْسَهُ؟ قَالَ: (ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. ولفظ مسلم: (فقال رسول الله - ﷺ -

ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

* دِرَاسَةُ السَّبَبِ:

هكذا جاء في تفسير هذه الآية وقد ذكر بعض المفسرين هذا الحديث لكن منهم من

ذكر التصريح بالنزول كابن عطية والقرطبي. ومنهم من لم يذكر ذلك كابن كثير وابن عاشور.

وقال ابن حجر لَمَّا ذَكَرَ التَّصْرِيحَ بِالنَّزُولِ: (واقترضت رواية شعبة هذه أن هذا

السؤال سبب نزول الآية الأخرى التي في لقمان، لكن رواه البخاريّ ومسلم من

طريق أخرى عن الأعمش وهو سليمان المذكور في حديث الباب. ففي رواية جرير

عنه: (فقالوا: أَيْنَا لَمْ يَلْبَسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فقال: ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان).

وفي رواية وكيع عنه: (فقال: ليس كما تظنون). وفي رواية عيسى بن يونس: (إنما

هو الشرك، ألم تسمعوا إلى ما قال لقمان)، وظاهر هذا أن الآية التي في لقمان كانت

معلومة عندهم، ولذلك ينبههم عليها، ويحتمل أن يكون نزولها وقع في الحال فتلاها

عليهم ثم نبههم فتلتهم الروايتان) اهـ.

والظاهر - والله أعلم - أن الحديث ليس سبباً للنزول وأن التصريح بالنزول لا

يصح لما يلي:

- أن أكثر الروايات خلت من التصريح بالنزول، ليس هذا فقط بل صرحت

بخلافه: (ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه) وهذا يدل على أن هذا معلوم

عندهم.

- أن آية لقمان في سياق التصيحة، ومثل هذا لا يناسب السببية، إذ لو كانت الآية نزلت جواباً لاستشكال الصحابة كما قال الله -عزَّ وجلَّ- فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إذ لا فائدة من ذلك.

- إن احتمال نزول آية لقمان بعد سؤالهم. وقبل جواب النبي -ﷺ- لهم بعيد عادة.
* النتيجة:

أن الحديث المذكور ليس سبباً لنزول الآية الكريمة لعدم الدليل على ذلك، مع إعراض جمهور المفسرين عن ذكره والله أعلم¹.

ثم يواصل صاحب المحرر في أسباب النزول، حول باقي الأسباب:

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة لقمان، ١٤-١٥].

* سبب النزول:

أخرج مسلم وأحمد عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا.

قال: مكثت ثلاثاً حتى عُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يُقال له عُمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن هذه الآية: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا)، (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي) وفيها (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا).

ولفظ أحمد: فأنزلت: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) وقرأ حتى بلغ: (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

* دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة. وقد ذكر بعض المفسرين حديث

سعد هذا عند تفسيرها كالطبري والبعثي وابن عطية والقرطبي وابن كثير.

قال الطبري: (وذكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمّه) اهـ.
ثم قال: ذكر الرواية الواردة في ذلك.

وقال ابن عطية: (ففي هذه القصة نزلت الآيات، قاله سعد بن أبي وقاص والجماعة من المفسرين) اهـ.

1 - المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، ج 2، ص 790.

وقال القرطبي: (والصحيح أنّ هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدّم في - العنكبوت - وعليه جماعة المفسرين) اهـ.

وقال ابن عاشور: (وعلى كلا الاعتبارين - يعني أكانت الوصيّة بالوالدين من الله أو من حكمة لقمان - لا يحسن ما ذهب إليه جمع من المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعض أمّه، لعدم مناسبتة السياق ولأنّه قد تقدّم أنّ نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزل في ذلك، وأنها المناسبة لسبب النزول، فإنّها أخليت عن الأوصاف التي فيها ترقيق على الأمّ بخلاف هذه، ولا وجه لنزول آيتين في غرض واحد ووقت مختلف) اهـ.

وعندي - والله أعلم - أنّ ما ذكره ابن عاشور هو الصحيح، وأنّ الآيتين في سورة لقمان لا صلة لهما بقضية سعد، ومن الغريب حقاً أن يذكر بعض المفسرين النزول في الموضوعين إذ لا فائدة من ذلك، ولعلّ إضافة آية لقمان للحديث جاءت من باب أنّ موضوع الآيتين واحد، ومن هنا أدرجها بعض الرواة في الحديث. وقد أشار ابن عاشور هنا إلى علة لطيفة وهي أنّ آية العنكبوت ليس فيها ترقيق على الأمّ بخلاف هذه.

وهذا صحيح فإن الله لو رقق قلبه على أمّه بتعداد أفضالها لربّما تعسّر عليه مخالفتها، لكنّ الله أمره بالإحسان عموماً، ونهاه عن الشّرك.
* النتيجة: أنّ الحديث المذكور ليس سبباً لنزول الآيتين هنا لعدم المناسبة بين سياقه وسياقها والله أعلم".¹

المطلب الثالث: بيان المكي والمدني في السّورة

روى البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس ؓ: أنزلت سورة لقمان بمكة.

يقول البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: سورة لقمان مكية إلا آية: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ [سورة لقمان، ٤]. فإنّ وجوبهما

(الصلاة، الزكاة) بالمدينة وهو ضعيف لأنّه لا ينافي شرعيتهما بمكة.²

وهذا الكلام أكده ابن عاشور في تفسيره نقلاً عنه حيث قال: وهي مكية كلها عن ابن عباس ؓ في أشهر قوليّه وعليه إطلاق جمهور المفسرين، وعن ابن عباس ؓ من

رواية الثّحاس استثناء ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ

وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٧﴾ مَا

خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٨٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ

1 - المحرّر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، ج 2، ص 790-791.
2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 4، ص 212، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685 هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ [سورة لقمان، ٢٧-٢٩].¹

وعن قتاده إلا آيتين إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾، وفي تفسير الكواشي² حكاية قول إنها مكية عدا آية نزلت بالمدينة وهي:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة لقمان، ٤].

قائلاً: لأنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ فرضت بالمدينة وردّه البيضاوي على تسليم ذلك بأنَّ فرضها في المدينة لا ينافي تشريعها بمكة على غير إيجاب.

ويعتدل صاحب التحرير والتنوير هذا الكلام بقوله:

والمحققون يمنعون أن تكون الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ فرضت بالمدينة لا ينافي تشريعها بمكة على غير إيجاب، فأما الصَّلَاةَ فلا ريب في أنها فرضت على الجملة في مكة، وأما الزَّكَاةَ ففرضت في مكة دون تعيين أنصباء ومقادير، ثم عيّنت الأنصباء والمقادير بالمدينة.

ليصل في الأخير إلى النتيجة الآتية:

ويتحصّل من هذا أنّ القائل بأنَّ آية: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة لقمان، ٤]. نزلت بالمدينة قاله من رأيه، وليس له سند

يُعتمد كما يؤذن به قوله لأنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ إلخ. ثمَّ هو يقتضي أن يكون صدر

السورة النازل بمكة، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة لقمان، ٣]. ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... ﴿٥﴾﴾ [سورة لقمان، ٥]. إلخ ثمَّ ألحق به ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة لقمان، ٤].³

ثمَّ يواصل العلامة ابن عاشور مناقشة المسألة:

وأما القول باستثناء آيتين وثلاث فمستند إلى ما رواه ابن جرير عن قتاده وعن سعيد

بن جرير عن ابن عباس أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ... ﴿٧﴾﴾

[سورة لقمان، ٢٧-٢٩]. إلى آخر الآيتين أو ثلاث نزلت بسبب مجادلة كانت من

1 - التحرير والتنوير، الظاهر بن عاشور، ج 20 - 21، ص 137

2 - الكواشي، بالفتح والتخفيف ومعجمة: (نسبة) إلى كواش، قلعة بالموصل. قاله السيوطي في «لبُّ اللباب في تحرير الأنساب» 216/2 طبعة دار الكتب العلمية. وهو الإمام المفسر المقرئ الفقيه الزاهد موفق الدين، أبو العباس، الكواشي، أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع بن حسين ابن سودان الشيباني، الموصل، الشافعي. ولد بكواش (أو كواشي) سنة 590 أو 591، وتوفي بالموصل سنة 680، رحمه الله تعالى.

(يُنظر في مصادر ترجمته: الأعلام للزركلي 274/1 طبعة دار العلم للملايين، ومعجم المؤلفين لكخالة 327/1 - 328 طبعة الرسالة).

3 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 137.

اليهود أن أحبارهم قالوا: يا محمد أرأيت قوله: ﴿...وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء، ٨٥]. إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: كلا أردت. قالوا: ألسنت تتلوا في ما جاءك أنا قد أوتينا الثوراة فيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...﴾ [سورة لقمان، ٢٧-٢٩]. وذلك مروى بأسانيد ضعيفة وعلى تسليمها فقد أجيب بأن اليهود جادلوا في ذلك ورسول الله ﷺ بمكة بأن لقنوا ذلك وفدا من قريش وفد إليهم إلى المدينة، وهذا أقرب للتوفيق بين الأقوال. وهذه الروايات وإن كانت غير ثابتة بسند صحيح إلا أن مثل هذا يكتفى فيه بالمقبول في الجملة. قال أبو حيان: سبب نزول هذه السورة أن قريشا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة لقمان مع ابنه، أي سألوه سؤال تعثت واختبار. وهذا الذي ذكره أبو حيان يؤيده تصدير السورة بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ [سورة لقمان، ٦]¹. انتهى كلام العلامة ابن عاشور.

وبالرجوع إلى كلام أبي حيان في البحر المحيط نجده يقول:

"هذه السورة مكية. قال ابن عباس: - إلا ثلاث آيات -، أولهن: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة لقمان، ٢٧]². وقال قتادة: إلا آيتين، أولهما: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...﴾، إلى آخر الآيتين. وقيل: نزلت بالمدينة إلا الآيات الثلاث ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...﴾، إلى آخرهن"³.

وملخص القول يتضح لي أن: سورة لقمان مكية بالإجماع وما أستثني من آيات (الآية 4 و 27 من سورة لقمان) قيل أنها مدنية فمردودٌ بالنقل والعقل⁴. هذه المناقشة الرائعة المتعلقة بمكان نزول الآيات، ارتأيت أن أنقلها كما هي من مختلف كتب التفسير مع التركيز على ما في كتاب التحرير والتنوير لأبي رأيت أنه قد كفى ووفى.

1 - المرجع نفسه، ج 20 - 21، ص 137-138.

2 - الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، ج 14، ص 50، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات).

3 - البحر المحيط، أبي حيان، ج 7، ص 178.

4 - روح المعاني، الألويسي، ج 1، ص 98.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي للآيات

المطلب الأول: الدراسة اللغوية والنحوية والبلاغية

الفرع الأول: التأصيل اللغوي للآيات

بعد استقرائي لأغلب التفسيرات حول تفسيرهم لآيات وصايا لقمان تقرّر عندي الآتي:

جُلّ المفسرين بدءاً بالفدائي وصولاً عند المُحدّثين، وجدّتهم يتناقلون المعاني عن بعضهم بشيء من التوسّع أحياناً، والاختيارات، والإضافات حيناً آخر. وجدّث كما هو معلوم عند أغلب العلماء أنّ عمدهم وشيخهم بلا منازع، إمام المفسرين، ابن جرير الطبري. لهذا فقد اعتمدته - ابن جرير - في اختياراتي، مع بعض من اختيارات ابن كثير في ذلك، لأضيف عليه ما أراه يزيد المعنى وضوحاً وجمالاً، ثم أزيّنه بشيء من ملح ولطائف المُحدّثين من أمثال العلامة المفسر الألويسي، والمراغي، وسعيد حوى.. وهذا لا يعني الاقتصار على هؤلاء فحسب، وإنما قصدت السمة الأعمّ التي اخترتها، وهي طريقة وقفت عليها عند كثير من المفسرين خاصة المُحدّثين منهم، كالمراغي، وسعيد حوى في تفسيرهما مثلاً.

❖ الآية 12:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ [سورة لقمان، ١٢].

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) أي ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين، والعقل، والإصابة في القول¹، وقال ابن كثير: أي الفهم والعلم والتدبر²، وبنحو هذا قال أغلب المفسرين³. (أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ) أي: أن احمد الله من فضله، وهي ترجمة للحكمة وإتي تقتضي شكر الله على ما آتاه⁴، وبنحو هذا قال ابن كثير، ونقله عنه سعيد حوى في تفسيره الأساس⁵. وقوله تعالى: (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أي: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه، لأنّ الله يجزل له على شكره إياه الثواب، وينقضه به من الهلكة⁶، غير أنّ ابن كثير فسرها بآية من القرآن فقال: أي إنّما يعود نفع ذلك

1 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: 1، 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 20، الطبري، ج18، ص545.
2 - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ج6، ص335، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، عدد الأجزاء: 8.
3 - زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، ج3، ص430، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
4 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص549.
5 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، ص4317.
6 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص549.

وثوابه على الشاكرين، لقوله تعالى: ﴿...وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾
 [سورة الروم، ٤٤]. قد نقل هذا المراغي في تفسيره عن ابن كثير¹، ليلخصها ابن
 جُرِّي بقوله: إنما يفعل لنفسه². أما قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) أي:
 غني عن العباد لا يتضرر بذلك، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً³، أما الطبري
 فيقول: ومن كفر نعمة الله عليه، إلى نفسه أساء، لأن الله معاقبه على كفرانه إياه، فلا
 الشكر يزيد في سلطانه ولا الكفر يُنقص من ملكه⁴، أما قوله تعالى: (حَمِيدٌ)، فقال
 الزمخشري في كشافه: حقيق بأن يُحمد وإن لم يحمد أحد⁵، وبنحوه قال المفسرون.

❖ الآية 13:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾
 [سورة لقمان، ١٣].

يختصر إمام المفسرين تأويل الآية كلها في معنى قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
 عَظِيمٌ) فيقول: لخطأ من القول عظيم⁶. ويقف ابن كثير عند هذه الآية مطولاً: أي أن
 الله تعالى يُذكرُ نبيه ﷺ بما أوصى به لقمان ابنه، وهو أن يعبد الله وحده ولا
 يشرك به شيئاً، ثم حذره، (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) أي: هو أعظم الظلم، ثم بين ابن
 كثير أن الله قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البرّ بالوالدين، كما قال تعالى:
 ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ [سورة الإسراء، ٢٣]٧. ينقل
 سعيد حوى في تفسيره عن الثسفي قوله: وقال الثسفي لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا
 هي منه، ومن لا نعمة له أصلاً⁸. يقول صاحب روح المعاني أن ابن لقمان هو:
 "تاران" على ما قال الطبري، أما (وَهُوَ يَعِظُهُ) جملة حالية، والوعظ - كما قال
 الراغب - زجرٌ مُفترن بتخويف⁹.

1 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص335 / تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص79.

2 - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج6، ص318.

3 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص335.

4 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص549.

5 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص493، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله
 (ت: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4.

6 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص550.

7 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

8 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، ص4318.

9 - روح المعاني، الألوسي، ج11، ص84.

❖ الآية 14:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان، ١٤].

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أي: وأمرنا الإنسان ببرِّ والديه¹، وبه قال جُلّ المفسرين، وقال صاحب البحر المحيط: وفيها تشديد وتوكيد اتباع الولد والده وامتنال أمره في طاعة الله²، وجاء عن الألويسي قوله: أن (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) كلام مُستأنف اعترض به عن نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيه من النهي عن الإشراك فهو من كلام الله ﷻ لم يقله سبحانه للقمان، وقيل: هو من كلامه تعالى قاله جلّ وعلا له³. (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) أي: ضعفاً على ضعف، وشدة على شدة، وذكر الطبري أيضاً أن هناك من قال: بل عُني بذلك وهن الولد وضعفه على وهن الأمّ ناقلاً ذلك عن مجاهد⁴، وهو ما نقله ابن كثير بنفس المعنى عن مجاهد كذلك⁵، ويضيف ابن عاشور في هذا المعنى لطيفة مفادها: أن جملة (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ)، جاءت في موضع التعليل للوصاية بالوالدين قصداً لتأكيد تلك الوصاية، لأنّ تعليل الحكم يفيد تأكيداً⁶، وبهذا المعنى نقل ابن الجوزي، وأبو حيان، ثم المراغي، وسعيد حوى⁷.

(وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ) أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، كما قال تعالى:
﴿وَأُولَادَاتٌ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ...﴾ [سورة البقرة، ٢٣٣].

وهنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقلّ مدّة الحمل سنّة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى: ﴿... وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾ [سورة الأحقاف، ١٥]. وإثما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها ليذكر الولد بإحسانها المقدم إليه⁸. وهذا ما

1 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص550.

2 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص182.

3 - روح المعاني، الألويسي، ج11، ص84.

4 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص550.

5 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

6 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص158.

7 - يُرجع إلى تفاسيرهم.

8 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

نقله ابن عاشور في تفسيره، إلا أنّ أغلب المفسرين اكتفوا بذكر معنى الفصال، أي الفطام في عامين ومنهم إمام المفسرين الطبري.

(أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَتِكَ) أي: عهدنا إليه أن أشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك¹، وهي تفسير لفعل الوصيّة نقله المراغي عن ابن عاشور وعن غيره من المفسرين².

(إِنَّ الْمَصِيرُ) تعليل لوجوب الامتثال بالأمر أي إليّ الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على ما صدر عنك ممّا يخالف أمري³. لِيُجَمَلَ ابن كثير جلّ ذلك بقوله: فإني سأجازيك على ذلك أوفر جزاء⁴.

❖ الآية 15:

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

[سورة لقمان، ١٥].

(وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) أي: فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، بينما (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي: صاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك، ولا إثم⁵. وبنحو هذا يضيف الطبري يقول أهل التأويل ومن ذلك ما قاله ابن كثير: إن حرصا عليك كلّ الحرص على أن تتبعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي: محسنا إليهما⁶. وفي الكشاف ينقل عنه الألويسي: أنه سبحانه أراد بنفي العلم نفي ما يشرك، أي لا تشرك بي ما ليس بشيء، يريد **عَلَيْكَ** الأصنام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [سورة العنكبوت، ٢٤] ⁷. ويضيف صاحب التحرير والتنوير لطيفة مفادها، أنّ المجاهدة: شدة السعي والإلحاح. والمعنى: إن ألحّا وبالغا في دعوتك إلى الإشراف بي فلا

1 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج18، ص551.

2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص160. / تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ص83.

3 - روح المعاني، الألويسي، ج11، ص86.

4 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

5 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج18، ص553.

6 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

7 - روح المعاني، الألويسي، ج11، ص86.

تطعمهما، وهذا تأكيد للثهي عن الإصغاء إليهما إذا دَعَوَا إلى الإشراف¹. وفي ذكر (في الدُّنْيَا)، الدُّنْيَا: لتَهْوِين أمر الصَّحْبَة والإشارة إلى أنها أيام قلائل وشبكة الانقضاء فلا يضرُّ تحمُّل مشقتها لقلَّة أيامها وسرعة انقراضها². (وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) أي: اسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام واتبع محمدا ﷺ، وبنحو هذا قال أصحاب التَّأْوِيل يقول إمام المفسِّرين³. بينما ابن كثير: يعني المؤمن⁴. وقال القرطبي: هي وصية لجميع العالم كأنَّ المأمور هو الإنسان⁵. وحسب ابن عاشور (مَنْ أَنَابَ): هم المقلعون عن الشُّرك وعن المنهيات التي منها عقوق الوالدين، وهم الذين يدعون إلى التَّوْحِيد، ومن اتبعوهم في ذلك⁶. وفي هذا الشَّأن يقول الألوسي (مَنْ أَنَابَ) يعني: أبا بكر ﷺ، وابن جُرَيْج يقول كما أخرج عنه ابن المنذر: (مَنْ أَنَابَ) هو محمَّد ﷺ، وغير واحد يقول: كذلك هو ﷺ، والمؤمنون، والظاهر هو العموم⁷.

(إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي: فَإِنَّ إِلَيَّ مَصِيرَكُمْ وَمَعَادَكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ فَأَخْبِرْكُمْ، بجميع ما كنتم في الدُّنْيَا تعملون من خير وشر، ثم أجازيكم على أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته⁸. يقول ابن عاشور: جملة (إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ)، وعدُّ ووعيد⁹.

والخلاصة في معنى الآية: واتبع سبيلي بالتَّوْحِيد والإخلاص والطاعة، لا سبيلهما، ثم مصيركم إليَّ بعد مماتكم، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدُّنْيَا من خير وشر، ثم أجازيكم عليه.

❖ الآية 16:

﴿يَبْقَىٰ إِلَٰهَهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة لقمان، ١٦].

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص160.

2 - روح المعاني، الألوسي، ج11، ص86.

3 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص553.

4 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.

5 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج7، ج13 - 14، ص50.

6 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص161.

7 - روح المعاني، الألوسي، ج11، ص87.

8 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص554.

9 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص162.

ثم يعود القرآن ههنا ليذكر بقية وصايا لقمان لابنه بعد أن نهى في مطلعها عن الشرك وأكد بالاعتراض الذي يذكره بقوله: (يَبْتِئُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ)، هنا رجح الطبري قول نحوِّي الكوفة في معنى الهاء في (إِنَّهَا) بأن تكون عماداً أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية كما قال بعض نحوِّي البصرة، وبرر اختياره أن الله لم يعد عباده أن يوفِّيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم¹. وعلى هذا اختلفت آراء المفسرين، فاختر ابن كثير (الهاء) كناية عن الخطيئة والمظلمة، وأضاف معنى جديداً للهاء في (إِنَّهَا) فقال: جوز بعضهم أنها ضمير الشان والقصة².

(إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ): إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت، خبير بموضعها³، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل يضيف الطبري⁴، ومنهم مثلاً: ابن كثير الذي قال: أي: لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت⁵.

❖ الآية 17:

﴿يَبْتِئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان، ١٧].

(يَبْتِئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ) أي: بحدودها⁶، وفروضها وأوقاتها يقول ابن كثير⁷. أما ابن عاشور فيقول في تفسيره: إقامة الصلاة، إدامتها والمحافظة على أداءها في أوقاتها⁸.

(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) أي: وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره وانهاهم عن معاصيه.

(وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ) أي: من الناس في ذات الله، والسبب أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم⁹.

1 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص555.
2 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.
3 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص555.
4 - نفس المرجع، ج18، ص555.
5 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، ص4318.
6 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص558.
7 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص337.
8 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص166.
9 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص166.

(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي: ممّا أمر الله به من الأمور عزمًا منه¹ وابن عاشور يقول: العزم مصدر بمعنى: الجزم والإلزام والعزيمة². ينقل سعيد حوى في تفسيره الأساس عن الشسفي قوله: (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ): هذا دليل على أنّ هذه الطاعات مأمور بها في سائر الأمم³. وجاء في الكشاف (عَزْم) أي: ممّا عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث: " لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل"⁴، أي: لم يقطعه بالنية⁵.

جاء في البحر المحيط: العزم تعني الحزم بلغة هذيل. والحزم والعزم أصلان، وليس أحدهما أصلاً للآخر، على اعتبار أنّ العين قلبت حاء لاطراد تصاريف كلّ واحد من اللفظين⁶.

والخلاصة كما جاء في تفسير المراغي: أنّ هذه الوصية بدأها بالصلاة وختمها بالصبر لأنهما عمادا الاستعانة إلى رضوان الله كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة، ٤٥] ⁷.

❖ الآية 18:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، ١٨].

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أي ولا تُعرض، وقرئت: ولا تُصاعِر، وهما قراءتان فبأيهما قرأت فمصيبٌ، لأنهما قد قرأ بهما علماء من قراءة القرآن، والمعنى: ولا تُعرض بوجهك عمّن كلمته، تكبراً واستحقاراً لمن تكلمه، وأصل الصعر: داءٌ تأخذ الإبل في أعناقها ورؤوسها حتى تلتفت أعناقها عند رؤوسها⁸.

1 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج18، ص558.

2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص166.

3 - الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، ص4318.

4 - رواه أصحاب السنن الأربعة في الصوم من حديث عبد الله بن عمر عن حفصة رضي الله عنهم. رواه الترمذي (730) ولفظ الشسفي (2334): (مَنْ لَمْ يَنْبِتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ) . صححه الألباني في صحيح الترمذي (583).

5 - الكشاف، الزمخشري، ج5، ص14.

6 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص184.

7 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص85.

8 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج18، ص559.

وكان قد اختاره ابن كثير نقلاً عن ابن عباس¹، وبنحو هذا قال صاحب الكشاف، وأبو حيان في بحره ونقله الألويسي، والمراغي، وسعيد حوى في تفاسيرهم بهذا المعنى².

(وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي: لا تمش في الأرض مختالاً.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) أي: متكبر ذي فخر، أي متكبر يعدد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله نقله ابن جرير عن مجاهد³. وعند ابن كثير مختال معجب بنفسه فخور على غيره⁴، وهو ما أثبتته كل من الألويسي، والمراغي، وسعيد حوى في تفاسيرهم وكلفتة لغوية نقل ما ذكره صاحب التحرير والتنوير: أن موقع جملة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) يجوز فيه ما مضى في جملة (إِنَّ الْأَشْرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وكذا جملة (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) وجملة (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وهي أنها جمل اعتراضية من كلام الله أو من لقمان، فإن كانت من كلام الله فهي تعليم من الله للمسلمين، وإن كانت من كلام لقمان فهي كالمقصد من المقدمة أو كالثبوت من الدليل⁵.

❖ الآية 19:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، ١٩].

(وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) أي: وتواضع في مشيك إذا مشيت ولا تتكبر ولا تستعجل، ولكن ائد، غير أنه وحسب الطبري أن هناك من قال: أمره بالتواضع في مشيه ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه، (وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) أي: اخفض من صوتك⁶، وفي الكشاف: توسط في المشي، وانقص من صوتك، واقصر⁷.

قال ابن كثير في الآية: أي لا تبالي في الكلام، ولا ترفع صوتك في ما لا فائدة فيه⁸، نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير⁹. وبنحو هذا قال أبو حيان غير أنه أضاف أن

1 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص337.
2 - الكشاف، الزمخشري، ج5، ص16 / البحر المحيط، أبي حيان، ج7، ص183 / روح المعاني، الألويسي، ج11، ص90 / تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص86 / الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، ص4319.
3 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص559، ص562.
4 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص337.
5 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص164 و ص168.
6 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج18، ص563.
7 - الكشاف، الزمخشري، ج5، ص17.
8 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص337.
9 - زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج6، ص323.

الله تعالى بعد أن نهى العبد عن الخلق الذميمة أمره بالخلق الكريم¹، وبهذا قال باقي المفسرين، الألوسي والمراغي وسعيد حوى، مع إضافة بعض المناقشات التي تدور في فلك المعاني ذاتها.

(إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أي: إِنَّ أَقْبَحَ وَأَشْرَّ الْأَصْوَاتِ، وذلك نظير قولهم إذا رأوا وجهاً قبيحاً أو منظرًا شنيعاً: ما أنكر وجه فلان وما أنكر منظره². أمّا في البحر المحيط فمعناها: ما أوحشها من قولك: شيء تَكَرَّرَ إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثلٌ في الذمّ البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه³. يقول المراغي: وهذا أدبٌ من الله لعباده بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة⁴.

الفرع الثاني: التحليل اللفظي والجُملي للآيات

1- التحليل اللفظي:

- ءاتينا: أعطينا، رزقنا، علمنا.
- الحكمة: العقلُ والفهمُ والفتنة⁵.
- حميد: حقيقٌ بأن يحمده وإن لم يحمده أحد⁶.
- يعظه: يذكره، يخوفه، قال الراغب: زجرٌ، مُقْتَرَنٌ بِالْتَّخْوِيفِ⁷.
- الشرك: أعظم الظلم⁸.
- وهنا على وهن: ضعفاً على ضعفٍ، مشقةٌ فوق مشقة⁹.
- وفصاله في عامين: فطامه بعد عامين، تربيته، إرضاعه بعد وضعه¹⁰.
- جاهدك: حاربك، اجتهدوا لإجبارك على فعل شيء، وهو حرصهما على متابعتك لهما في الكفر¹¹.
- صاحبهما: أحسن إليهما، للإشارة إلى الرفق بهما في الأمور الدنيوية دون الدينية¹².
- واتبع سبيل: اسلك طريق¹³.

1 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص183.
2 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج18، ص565.
3 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص184.
4 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص87.
5 - روح المعاني، الألوسي، ج21، ص83، (على ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس).
6 - الكشاف، الزمخشري، ج5، ص10.
7 - روح المعاني، الألوسي، ج8، ص84.
8 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.
9 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج8، ص550.
10 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.
11 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص80.
12 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336 / روح المعاني، الألوسي، ج21، ص87.
13 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج8، ص553.

- أناب إليّ: رجع إليّ، سلك طريقي، أقبل عليّ¹.
- فأنبئكم: فأخبركم².
- مثقال حبة: زنة حبة، وزن حبة³.
- في صخرة: عني بها الصخرة التي عليها الأرض⁴.
- خردل: ضربت كمثل في الصغر⁵.
- أقم الصلاة: حافظ وأدم عليها⁶.
- يأتي بها الله: يحضرها الله⁷ يوم القيامة⁸.
- لطيف: عليم بالأشياء وإن تضاءلت.
- خبير: عالم بكنهه⁹.
- عزم الأمور: أي التي عزمها الله وأوجبها¹⁰.
- ولا تصاعر خدك: لا تمل، ولا تعرض. والصعر داءٌ يصيب البعير يلوي منه عنقه¹¹.
- مرحاً: فرحاً وبطراً¹².
- مختال فخور: التبختر في المشي كبيراً¹³.
- اغضض من صوتك: أنقص منه واقتصر من قولك¹⁴.

هذه أهمّ المعاني للألفاظ التي جاءت بها آيات وصايا لقمان وقد جمعتها متفرقة في معظم أمّهات كتب التفسير، بنوع من التكرار مع تسجيل عدم وجود اختلافات ذات أثر في المعاني، غير أنّ أغلبها مأخوذ من تفسيري ابن كثير والطبري والقرطبي.

1 - المرجع نفسه، ج8، ص554.
2 - المرجع نفسه، ج8، ص554.
3 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص162.
4 - المرجع السابق، الطبري، ج18، ص556، (وذلك قولٌ مروى عن ابن عباس وغيره، وقالوا: هي صخرة خضراء).
5 - الكشاف، الرّمخشري، ج5، ص13.
6 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص164.
7 - كما تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَيْسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، ٤٧].
8 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص336.
9 - روح المعاني، الألوسي، ج8، ص89.
10 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص166.
11 - الكشاف، الرّمخشري، ج5، ص16.
12 - روح المعاني، الألوسي، ج8، ص20.
13 - المرجع نفسه، ج8، ص90.
14 - المرجع نفسه، ج8، ص90.

2- التحليل الجملي¹:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

أي: واذكر أيها الرسول الكريم موعظة لقمان لابنه، وهو أشفق الناس عليه، وأحبهم لديه حين أمره أن يعبد الله وحده، ونهاه عن الشرك، وبيّن له أنه ظلم عظيم أمّا كونه ظلماً، فلما فيه من وضع الشّيء في غير موضعه، وأمّا أنه عظيم، فلما فيه من الدّسوية بين من لا نعمة إلاّ منه، وهو سبحانه وتعالى، ومن لا نعمة لها، وهي الأصنام والأوثان².

وبعد أن ذكر سبحانه ما أوصى به لقمان ابنه من شكر المنعم الأول الذي لم يشركه في إيجاده أحد، وذكر ما في الشرك من الشناعة أتبعه بوصيته الولد بالوالدين لكونهما السبب في وجوده، فقال:

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أي: وأمرناه ببرّهما وطاعتهما، والقيام بحقوقهما، وكثيراً ما يقرن القرآن بين طاعة الله وبرّ الوالدين كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء، ٢٣].³

ثم ذكر مئة الوالدة خاصّة لما فيها من كبير المشقة، فقال: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَتْأَ عَلَىٰ وَهْنٍ) أي حملته وهي في ضعف يتزايد بازدياد ثقل الحمل إلى حين الطلق، ثمّ مدّة النفاس. ثمّ أرفها ذكر مئة أخرى، وهي الشفقة عليه وحسن كفالتة حين لا يملك لنفسه شيئاً، فقال:

(وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) أي وفطامه من الرضاع بعد وضعه في عامين تقاسى فيهما الأم في رضاعه وشؤونه في تلك الحقبة جمّ المصاعب والآلام التي لا يقدر قدرها إلاّ العليم بها، ومن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وقد وصّى بالوالدين لكثته ذكر السبب في جانب الأمّ فحسب، لأن المشقة التي تلحقها أعظم، فقد حملته في بطنها ثقيلاً، ثمّ وضعته وربّته ليلاً ونهاراً. ثمّ فسّر هذه الوصية بقوله:

(أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) أي وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك، لأنّهما كانا السبب في وجودك، وإحسان تربيتك، وملاقاتهما ما لا قيا من المشقة حتى استحكمت قواك.

1 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص81.

2 - المرجع نفسه، ج21، ص81.

3 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص81.

ثم علل الأمر بشكره محذرا إياه بقوله: (إِلَى الْمَصِيرِ) أي: إلى الرجوع، لا إلى غيري، فأجازيك على ما صدر منك مما يخالف أمري، وسائلك عما كان من شكرك لي على نعمي عليك، وعلى ما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما.

وبعد أن ذكر سبحانه وصيته بالوالدين وأكد حقهما، ووجوب طاعتها استثنى من ذلك حقوقه تعالى، فإنه لا يجب طاعتها فيما يغضبه، فقال: (وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) أي: وإن ألحا عليك والداك في الطلب، وشدا التكير عليك، بأن تشرك بي في عبادتي غيري مما لا تعلم أنه شريك لي، فلا تطعهما فيما أمراك به، وإن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به.

(وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي وصاحبهما في أمور الدنيا صالحة يرتضيها الذين، ويقتضيها الكرم والمروءة، بإطعامهما وكسوتهما، وعدم جفائهما وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما في القبر إذا ماتا.

وقوله: (فِي الدُّنْيَا) إشارة إلى تهوين أمر الصحبة، لأثها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء، فلا يصعب تحمل مشقتها.

ولما كان ذلك قد يجر إلى نوع وهن في الدين ببعض محابة فيه نفى ذلك بقوله:

(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) أي واسلك سبيل من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا ﷺ.

والخلاصة: واتبع سبيلي بالتوحيد، والإخلاص والطاعة، لا سبيلهما.

(ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي ثم مصيركم إلى بعد مماتكم، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر، ثم أجازيكم عليه، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته¹.

ثم عاد إلى ذكر بقية وصايا لقمان لابنه بعد أن نهى في مطلعها عن الشرك وأكده بالاعتراض الذي ذكره بقوله:

(يَا بُنَيَّ إِنَّ تَكُ مِنْ ثِقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ) أي: يا بني إن الفعلة من الإساءة والإحسان إن تك وزن حبة من خردل فتكن في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة أو في أعلى مكان كالسماوات أو في أسفله كباطن الأرض يحضرها الله يوم القيامة، حين يضع الموازين القسط، ويجازي عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشرًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [سورة الأنبياء، ٤٧].

1 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص81.

(إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) أي إِنَّ الله لطيف يصل علمه إلى كلّ خفيّ، خبير: يعلم ظواهر الأمور وخوافيها.

(يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) أي: أدها كاملة على النحو المرضي، لما فيها من رضا الرّب بالإقبال عليه والإخبارات له، ولما فيها من الذّهي عن الفحشاء والمنكر، وإذا تمّ ذلك صفت الدّفس وأنابت إلى بارئها في السّراء والضّراء كما جاء في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»¹.

وبعد أن أمره بتكميل نفسه توفية لحقّ الله عليه عطف على ذلك تكميله لغيره، فقال:

(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) أي: وأمر غيرك بتهديب نفسه قدر استطاعتك، تزكية لها، وسعيًا

إلى الفلاح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [سورة

الشمس، ٩-١٠].

(وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ) أي: وانه الثّاس عن معاصي الله ومحارمه التي توبق من اكتسبها، وتلقى به في عذاب السّعير، في جهنّم وبئس المصير.

(وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ) من أذى الثّاس في ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف أو نهيتهم عن المنكر.

وقد بدأ هذه الوصية بالصّلاة، وختمها بالصّبر، لأنّهما عمادا لاستعانة إلى رضوان الله كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ...﴾ [سورة البقرة، ٤٥].

ثمّ ذكر علة ذلك، فقال:

(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي: إنّ ذلك الذي أوصيك به من الأمور التي جعلها الله محتومة على عباده لا محيص منها، لما لها من جزيل الفوائد، وعظيم المنافع، في الدّنيا والآخرة، كما دلت على ذلك تجارب الحياة، وأرشدت إليه نصوص الدّين. وبعد أن أمره بأشياء حذره من أخرى، فقال:

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أي: ولا تعرض بوجهك عمّن تكلمه تكبّرا واحتقارا له، بل أقبل عليه بوجهك كله متهذلا مستبشرا من غير كبر ولا عتوّ.

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي: ولا تمش في الأرض مختالا متبخترا، لأنّ تلك مشية الجبارين المتكبرين الذين يبغون في الأرض، ويظلمون الثّاس، بل امش هونا، فإنّ ذلك يفضى إلى الدّواضع، وبذا تصل إلى كلّ خير.²

ثمّ ذكر علة هذا الذّهي بقوله:

1 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ج1، ص36، ح: 09/ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [القمان: 34]، ج6، ص115، ح: 4777.

2 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ج21، ص81.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) أي: إِنَّ الله لا يحبّ المختال المعجب بنفسه، الفخور على غيره، ونحو الآية ما مرّ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الإسراء، ٣٧].¹

(وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) أي: وامش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المنتبّط، ولا بالسريع المفرط، بل امش هونا بلا تصدّع ولا مراعاة للخلق، بإظهار التواضع أو التكبر. (وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) أي وانقص منه وأقصر، ولا ترفع صوتك حيث لا يكون إلى ذلك حاجة، لأنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع وفهمه. ثم علل الذمى وبينه بقوله:

(إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أي إنّ أشع الأصوات وأقبحها برفعها فوق الحاجة بلا داع هو صوت الحمير، وغاية من يرفع صوته أنه يجعله شبيها بصوت الحمار في علوّ ورفعه، وهو البغيض إلى الله. وفي ذلك ما لا يخفى من الذم، وتهجين رفع الصوت، والرغيب عنه، ومن جعل الرافع صوته كأثر حمار مبالغة في التّفنير من عمله، وهذا أدب من الله لعباده بترك الصّياح في وجوه النّاس تهاونا بهم، أو بترك الصّياح جملة.

وقد كانت العرب تفخر بجهاة الصّوت، فمن كان منهم أشدّ صوتا كان أعزّ، ومن كان أخفض كان أدلّ.²

الفرع الثالث: شواهد من إعراب الآيات

قد يتساءل البعض عن الفائدة المرجوة من الإعراب أو من تخصيص جانب له ضمن أيّ بحث في التّفنير كحال بحثنا هذا، ثمّ ما الفائدة من قولنا: إنّ هذه اللفظة حال أو توكيد أو تميّز... إلخ، أو هذه الجملة في محلّ نصب حال أو لا محلّ لها من الإعراب ما دمت أفهم أيّ كلام أقرؤه في صحيفة أو مجلّة من غير إعراب؟.

وهنا أنقل ما قاله الأستاذ رياض حسن محمد علي الخوام في إحدى محاضراته والذتي كانت بعنوان: الإعراب التّطبيقي وأهمّيته، كجواب شافٍ كافٍ على ذلك:

" إنّ علم الذّحو ليس مبنيا - فقط - على فهم المعنى وحصول الفائدة فحسب بل هو إلى جانب ذلك يتعلّق بالألفاظ المركّبة التي تجري على سنن العرب. فالقول: إيّ أفهم أيّ كلام من غير إعراب هو قول صحيح من جانب، وغلط من جانب آخر،

1 - المرجع السابق، ج21، ص81.

2 - المرجع نفسه، ج21، ص81.

ووجه الصّحة فيه أنّ السّامع يفهم المعنى العام من الجملة لكنّ المعاني الخاصّة الدّقيقة في الجملة لا يستطيع فهمها، وهذا هو وجه الغلط¹.

وعليه ها أنا ذا أضع بين أيديكم بعض الشّواهد الإعرابيّة للآيات وقد اعتمدت فقط ما كان لها أثر في التّفسير بناءً على تصفّحي لكثير من التّفاسير وعلى رأسها التّحرير والتّنوير لابن عاشور والكشاف للزمخشري وكتب إعراب القرآن المختلفة ككتاب: إعراب القرآن وصرّفه وبيانه لمحمود صافي... إلخ. غير أنّه ومن أجل الدّقة والاختصار وسهولة الفهم والاستيعاب اخترت ما جاء في كتب إعراب القرآن مع مقارنته بما جاء في ما ذكرته سالفاً من الكتب وهذه أهم الشّواهد الإعرابيّة في آيات وصايا لقمان.

❖ إعراب الآية 12²:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ شَكَرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان، ١٢].

(وَلَقَدْ): الواو حرف قسم وجرّ واللام واقعة في جواب القسم وقد حرف تحقيق (آتينا) ماض وفاعله (لقمان) مفعول به أوّل (الحكمة) مفعول به ثان والجملة جواب القسم لا محلّ لها.

(أَنْ اشكُرَ) أن مفسّرة زائدة وأمر فاعله مستتر (لله) متعلقان بالفعل والجملة مفسّرة لا محلّ لها.

(وَ) الواو حرف استئناف (مَنْ) اسم شرط جازم مبتدأ (يَشْكُرُ) مضارع مجزوم لأثمه فعل الشرط (فإنما) الفاء رابطة إثرها كافة ومكفوفة (يَشْكُرُ) مضارع فاعله مستتر (لِنَفْسِهِ) متعلقان بالفعل والجملة في محلّ جزم جواب الشرط وجملتا الشرط والجواب خبر من وجملة من.. مستأنفة لا محلّ لها.

(وَ) الواو حرف عطف (مَنْ) اسم شرط جازم مبتدأ (كفَرَ) ماض فاعله مستتر (فإنّ الله) الفاء رابطة وحرف مشبّه بالفعل ولفظ الجلالة اسمه (غَنِيٌّ حَمِيدٌ) خبران والجملة الاسميّة في محلّ جزم جواب الشرط وجملتا الشرط والجواب خبر من وجملة من معطوفة على ما قبلها.

1 - موقع جامعة أم القرى على الشبكة العنكبوتية <https://uqu.edu.sa/page/ar/6> *الإعراب التطبيقي، رياض علي الخوام*.
2 - التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرّفه، محمود صافي، دار الرّشيد، دمشق- بيروت/ مؤسسة الإيمان، بيروت - لبنان، الطبع الثالث: 1416هـ - 1995 م، ص76- 86 / تفسير البحر المحيط ، لأبي حيّان، ج7، ص181 - 184 / تفسير الكشاف، الزّمخشري، ج5، ص10 - 18.

❖ إعراب الآية 13:

﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾
[سورة لقمان، ١٣].

(وَ) الواو حرف استئناف (إِذْ) ظرف زمان (قَالَ لَقْمَانُ) ماضٍ وفاعله (لِابْنَيْهِ) متعلقان بالفعل والجملة في محلِّ جرٍّ بالإضافة.

(وَ) الواو حالية (هُوَ) مبتدأ (يَعِظُهُ) مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة الفعلية خبر المبتدأ والجملة الاسمية حال (يَا بُنَيَّ) حرف نداء ومنادى مضاف (لَا تُشْرِكْ) مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر (بِاللَّهِ) متعلقان بالفعل والجملتان التداوية والفعلية مقول القول.

(إِنَّ الشِّرْكَ) إنَّ واسمها (لَظُلْمٌ) اللام المزحلقة وخبرها (عَظِيمٌ) صفة والجملة الاسمية تعليل لا محلَّ لها.

❖ إعراب الآية 14:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْتُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان، ١٤].

(وَوَصَّيْنَا) الواو واو الاعتراض وماضٍ وفاعله (الْإِنْسَانَ) مفعول به (بِوَالِدَيْهِ) متعلقان بالفعل (حَمَلَتْهُ) ماضٍ ومفعوله (أُمُّهُ) فاعل والجملة اعتراضية لا محلَّ لها (وَهْتًا) نائب مفعول مطلق (عَلَىٰ وَهْنٍ) حال.

(وَفَصَّلْتُهُ) الواو اعتراضية ومبتدأ (فِي عَامَيْنِ) خبر المبتدأ والجملة الاسمية معترضة لا محلَّ لها (أَنِ اشْكُرْ) أن اشكُرْ) أن مفسدة وأمر فاعله مستتر والجملة تفسيرية (لِي) متعلقة بالفعل (وَلِوَالِدَيْكَ) معطوفان على لي (إِلَىٰ) خبر مقدم (الْمَصِيرُ) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة لا محلَّ لها.

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمود صافي، ص76 - 86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص181 - 184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج5، ص10 - 18.
2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20 - 21، ص148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه ص76 - 86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص181 - 184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج5، ص10 - 18.

❖ إعراب الآية 15:

﴿وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْكَ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾
[سورة لقمان، ١٥].

(وَ) الواو حرف عطف (إِنْ) شرطية (جَاهِدَاكَ) ماض وفاعله ومفعوله وهو في محلّ جزم فعل الشرط والجملة ابتدائية لا محلّ لها (عَلَى) حرف جر (أَنْ تُشْرِكَ) مضارع منصوب بأن والمصدر المؤول من أَنْ والفعل في محلّ جرّ بحرف الجرّ والجارّ والمجرور متعلقان بجاهدك (بِي) متعلقان بالفعل (مَا لَيْسَ) ما مفعول به وماض ناقص (لَكَ) خبره المقدم (بِهِ) متعلقان بعلم (عِلْمٌ) اسم ليس المؤخر والجملة صلة ما (فَلَا تُطِعْهُمَا) الفاء رابطة ومضارع مجزوم بلا الناهية والهاء مفعول به (وَ) (مَا) للثنية والجملة في محلّ جزم جواب الشرط (وَ) الواو حرف عطف (صَاحِبُهُمَا) أمر ومفعوله والفاعل مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها (فِي الدُّنْيَا) حال (مَعْرُوفًا) صفة مفعول مطلق محذوف (وَاتَّبِعْ) الواو حرف عطف وأمر فاعله مستتر (سَبِيلَ مَنْ) مفعول به مضاف إلى من والجملة معطوفة على ما قبلها (أَنَابَ) ماض فاعله مستتر (إِلَيْكَ) خبر مقدم (مَرْجِعُكُمْ) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة (فَأُنَبِّئُكُمْ) الفاء حرف عطف ومضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها (بِمَا) متعلقان بالفعل (كُنْتُمْ) كان واسمها (تَعْمَلُونَ) مضارع وفاعله والجملة الفعلية خبر كنتم وجملة كنتم.. صلة.

❖ إعراب الآية 16:

﴿يَبُوءُ بِهَا اللَّهُ إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة لقمان، ١٦].

(يَا بُيَّي) يا حرف نداء ومنادى مضاف (إِنَّهَا) إن واسمها (إِنْ) حرف شرط جازم (تَكُ) مضارع ناقص مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون على التثنية المحذوفة للذخيف واسمه مستتر (مِثْقَالَ) خبر تك (حَبَّةٍ) مضاف إليه والجملة ابتدائية لا محلّ لها، وجملة النداء مستأنفة (مِنْ حَرْدَلٍ) صفة حَبَّةٍ.

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه ص 76 - 86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج 7، ص 181 - 184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج 5، ص 10 - 18.
2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمود صافي، ص 76 - 86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج 7، ص 181 - 184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج 5، ص 10 - 18.

(فَتَكُنُّ) الفاء حرف عطف ومضارع ناقص اسمه مستتر (في صَخْرَةٍ) خبر تكن والجملة معطوفة على ما قبلها (أَوْ) حرف عطف (في السَّمَاوَاتِ) جارٌّ ومجرور معطوفان على في صخرة (أَوْ) حرف عطف (في الأَرْضِ) جارٌّ ومجرور معطوفان على في السَّمَاوَاتِ (يَأْتِ) مضارع مجزوم لأنه جواب الشرط (بِهَا اللهُ) متعلقان بالفعل ولفظ الجلالة فاعل والجملة جواب الشرط لا محل لها (إِنَّ اللهُ) إن واسمها (لَطِيفٌ خَبِيرٌ) خبر إن والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. وإن ومدخولها خبر إنها.

❖ إعراب الآية 17:

﴿يَبْنِيْ أَقِيْمَ الصَّلَاةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان، ١٧].

(يا بُنَيَّ) يا حرف نداء ومنادى مضاف (أَقِم) أمر فاعله مستتر (الصَّلَاةِ) مفعول به (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) معطوف على ما قبله (وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) أمر فاعله مستتر والجارُّ والمجرور متعلقان بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها (وَأَصْبِرْ) أمر فاعله مستتر (عَلَىٰ مَا) متعلقان بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها (أَصَابَكَ) ماض ومفعوله والفاعل مستتر والجملة صلة ما.

(إِنَّ ذَٰلِكَ) إن واسمها (مِنْ عَزْمِ) متعلقان بالخبر المحذوف (الأُمُورِ) مضاف إليه والآية مقول القول.

❖ إعراب الآية 18:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ۙ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [سورة لقمان، ١٨].

(وَلَا تُصَعِّرْ) الواو حرف عطف ومضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر (خَدَّكَ) مفعول به (لِلنَّاسِ) متعلقان بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها، (وَلَا تَمْشِ) معطوف على ولا تصعِّر (في الأَرْضِ) متعلقان بالفعل (مَرَحًا) صفة مفعول مطلق محذوف (إِنَّ اللهُ) إن ولفظ الجلالة اسمها (لَا يُحِبُّ) نافية ومضارع فاعله مستتر (كُلِّ) مفعول به (مُخْتَالٍ) صفة موصوف محذوف تقديره عبد مختال (فَخُورٍ) صفة ثانية والجملة الفعلية خبر إن والجملة الاسمية تعليل.

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمود صافي، ص 76-86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج 7، ص 181-184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج 5، ص 10-18.
2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 148 - 169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمود صافي، ص 76-86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج 7، ص 181-184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج 5، ص 10-18.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، ١٩].

(وَأَقْصِدْ) الواو حرف عطف وأمر فاعله مستتر (فِي مَشْيِكَ) متعلقان بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها (وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) معطوف على ما قبله (إِنَّ أَنْكَرَ) إِنَّ واسمها (الْأَصْوَاتِ) مضاف إليه (لَصَوْتُ) اللام المزحلقة (صوت الحمير) خبر إِنَّ المضاف إلى الحمير والجملة الاسمية تعليل.

الفرع الرابع: البلاغة في الآيات:

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: إِنَّ افتتاح القصة بحرفي التوكيد (لام القسم) و(قد) للإنباء بأنها خبر عن أمر مهم واقع.

وحسب ابن عاشور دائماً: (الواو) جاءت عاطفة بين حالين متضادين، عطفت قصة النضر بن الحارث² المتقدمة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ [سورة لقمان، ٦]. باعتبار تضمنت عجب حاله في الضلالة من عنايته بلهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويخذ سبيل الله هزواً، وباعتبار كون قصة لقمان متضمنة عجب حال لقمان في الاهتداء والحكمة³.

ثم يضيف العلامة ابن عاشور في لفظة بلاغية أخرى عند حديثه عن الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. بقوله:

الاقتصار على أن لقمان أوتي الحكمة يومئذ إلى أنه ألهم الحكمة ونطق بها، ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: ﴿... وَهُوَ يَعِظُهُ ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. وذلك مؤذن بأنه تعليم لا تبليغ تشريع⁴.

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص148-169 / الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمد صافي، ص76-86 / تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص181-184 / تفسير الكشاف، الزمخشري، ج5، ص10-18.
2 - النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجهها، ومن شياطينها. له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة ". وقيل: هو أول من غنى على العود بالأحان الفرس. وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً. وكان إذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نعمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار. توفي في السنة 2هـ. (الأعلام للزركلي، ج8، ص33).
3 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص148-149.
4 - المرجع نفسه، ج20-21، ص148-149.

ثم يضيف إمامنا في موضع آخر: من بلاغة القرآن وبديع إيجازه أن كان قوله تعالى: ﴿... أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. جامعاً لمبدأ الحكمة التي أوتيتها لقمان ولأمره بالشكر على ذلك، فقد جمع قوله تعالى: ﴿... أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. الإرشاد إلى الشكر، مع الشروع في الأمر المشكور عليه تنبيهاً على المبادرة بالشكر عند حصول الثمرة، وجيء في فعل (يشكر) بصيغة المضارع للإيماء إلى جدارة الشكر بالتجديد¹.

ومن الفنون البلاغية التي يذكرها علماء البلاغة فنُّ عكس الظاهر، أو نفي الشيء بإيجابه فحسب صاحب كتاب: الجدول في إعراب القرآن وصرفه يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿... مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾ [سورة لقمان، ١٥]. أي لا تشرك بي ما ليس بشيء، يريد الأصنام، وغبر بنفي العلم عن نفي المعلوم².

يقول الإمام الشعراوي في معرض تفسيره للآية: ﴿... وَمَنْ يَشْكُرْ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]: نلاحظ في الأسلوب هنا عظمة وروعة، ففي الشكر قال سبحانه: ﴿... وَمَنْ يَشْكُرْ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. أما في الكفر فقال: ﴿... وَمَنْ كَفَرَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. ولم يقل: "وَمَنْ يَكْفُر..."، وفرق بين الأسلوبين، والكلام هنا كلام ربّ. ففي الشكر جاء بالفعل المضارع "يَشْكُرُ" الدال على الحال والاستقبال، فالشكر متجدد ودائم على خلاف الكفر.

ويضيف الإمام الشعراوي تعليلاً لذلك بقوله: وكأثره سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الدوام على كفره، فلعنه يتوب ويرجع إلى ساحة الإيمان. فجاء بالفعل الماضي "كَفَرَ"، أي في الماضي فحسب وقد لا يعود في المستقبل.

فيعلق إمامنا على ذلك بقوله: وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم³.

وبالعودة إلى صاحب التحرير والتنوير وفي السياق ذاته يذكر صورة بيانية فنيّة من جمال البيان في القرآن:

1 - المرجع نفسه، ج20-21، ص148-149.
2 - الجدول في إعراب القرآن وصرفه، محمود صافي، ج21، ص82.
3 - تفسير الشعراوي - الخواطر - محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20، (ليس على الكتاب المطبوع أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م)، ج19، 1166.

إنّ فائدة ذكر الحال بقوله تعالى: ﴿... وَهُوَ يَعِظُهُ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. الإشارة في صورة فنيّة أنّ قوله هذا كان لتلبس ابنه بالإشراك وقد قال جمهور المفسرين: أنّ ابنه كان مشركاً فلم يزل لقمان يعظه حتى آمن بالله وحده¹.

ثمّ يضيف: إنّ الموعظة ببناء المخاطب الموعوظ مع أنّ توجيه الخطاب مغن عن ندائه لحضوره بالخطاب، فالنداء مستعمل مجازاً في طلب حضور الذهن لوعي الكلام وذلك من الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام².

وفي روح المعاني عند قوله تعالى: ﴿... فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾

[سورة لقمان، ١٦]. يقول الألوسي: فمثقال حبة: (مِنْ حَرَدَلٍ) إشارة إلى غاية

الصّغر، (في صَخْرَةٍ) إشارة إلى الحجاب، (في السَّمَوَاتِ) إشارة إلى الظلمة³.

ومن اللغات الجميلة التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره التوقف عند تصغير لفظة (يا بني) يقول في ذلك: فيه تنزيل المخاطب الكبير منزلة الصّغير كناية عن الشّفقة به والتّحبيب له، وهو في مقام الموعظة والذّصيحة إيماءً وكناية عن إحاض الصّح وحبّ الخير، ففيه حتّى على الامتثال للموعظة⁴.

بعدها يسوق العلامة ابن عاشور جملة من الكنايات أرى أن أنقلها لدقتها وأهمّيّتها: الإنباء في قوله تعالى: ﴿... فَأُنَبِّئُكُمْ...﴾ [سورة لقمان، ١٥]. كناية عن إظهار الجزاء مع الأعمال لأنّ الملازمة بين إظهار الشّيء وبين العلم به ظاهرة. في قوله تعالى: ﴿... يَأْتِ بِهَا اللَّهُ...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. الإتيان كناية عن التّمكّن منها وهو أيضاً كناية رمزيّة عند العلم بها لأنّ الإتيان بأدقّ الأجسام من أقصى الأمكنة وأعماقها وأصلبها ولا يكون إلا عن علم بكونها في ذلك المكان وعلم بوسائل استخراجها⁵.

وفي الإطار ذاته أنقل ما جاء في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعيّة والقانونيّة:

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص154.
2 - المرجع نفسه، ج20-21، ص154.
3 - روح المعاني، الألوسي، ج11، ص88.
4 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص155.
5 - المرجع نفسه، ج20-21، ص163.

والتعبير بالإتيان ﴿... يَأْتِ بِهَا اللَّهُ...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. فيه مسألتان: مادة الفعل وصيغته؛ أما مادة الفعل المستعملة في المعاني خاصة: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾ [سورة النحل، ١]. وإيثارها على ما يستعمل في الأعيان: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...﴾ [سورة يس، ٢٠]. فلإفادة القطع بالمجيء على وجه الحقيقة والواقع، وهذا غاية في البلاغة¹.

وأما الشيخ الشعراوي فيضرب لنا من الصّور البيانية الرائعة ما يُمتع السّمع ويشرح الصّدر فعند قوله تعالى: ﴿... وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾ [سورة لقمان، ١٥]. يقول: وتأمّل عظمة الأسلوب ههنا، فلم يقل مثلاً: أعظم معروفًا، إنما جعل المعروف مصاحبة تقتضي متابعتها وتفقد شأنهما بحيث يعرف الابن حاجة أبيه. ويعطيها قبل أن يسألًا، فلا يلجئها ذلّ السؤال، وهذا في ذاته إحسان آخر.

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أقيم الصَّلَاةَ...﴾ [سورة لقمان، ١٧]. ولك هنا أن تلحظ أنّ هذه الآية لم تقرن إقامة الصلّاة بإيتاء الرّكاة كعادة الآيات فغالباً ما نقرأ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [سورة البقرة، ٤٣]. يقول الإمام الشعراوي في هذا الشّأن: ينبغي أن نشير إلى أنّ القرآن جمع بين الصلّاة والرّكاة، لأنّ الصلّاة فيها تضحية بالوقت، والوقت زمن، والعمل وسيلة الكسب والمال. إذا ساعة تصلي فقد ضحيت بالوقت الذي هو أصل المال فكأنّ في الصلّاة تصدقت بمئة في المئة من المال المكتسب في هذا الوقت، أمّا في الرّكاة فأنت تتصدّق بالعشر، أو نصف العشر، أو ربع العشر، ويبقى لك معظم كسبك، فالواقع أنّ الرّكاة في الصلّاة أكبر وأبلغ من الرّكاة نفسها.

إذا: لما كانت الرّكاة في كلّ منهما، قرن القرآن بينها إلا في هذا الموضع، ولما تتأمّله تجده من دقائق الأسلوب القرآني... - انتهى كلام الشيخ -. ولمن أراد المزيد من التفصيل في هذه المسألة يرجع إلى تفسير الشعراوي².

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، ١٨]. فيقرّر العلامة ابن عاشور أنّ فيها تمثيلاً كينائيًا وهذا ما جاء في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تحنقر الناس، فالتهي عن

1 - مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، مج7، العدد 2، جمادى الآخر 1431 هـ، يونيو 2010م.

2 - تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ج19، ص11657-11658.

الإعراض عنهم احتقار لهم لا عن خصوص مصاعرة الخدّ، فيشمل الاحتقار بالقول والشتيم وغير ذلك فهو قريب من قوله تعالى: ﴿...فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ...﴾ [سورة الإسراء، ٢٣]. إلا أنّ هذا تمثيل كنائي والآخر كناية لا تمثيل فيها.

وكذلك قوله: ﴿...وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾ [سورة لقمان، ١٨]. تمثيل كنائي عن النهي عن التكبر والتفاخر لا عن خصوص المشي في حال المرح فيشمل الفخر عليهم وغيره¹.

أمّا شيخنا الشعراوي فعند هذه الآية يقول: إنّ اختيار هذا التشبيه بالذات كأنّ الحق سبحانه ينبهنا أنّ التكبر وتصعير الخدّ داءً، فهذا داءٌ جسدي وهذا داءٌ خلقيّ.

وفي الكشاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، ١٨]. لفّ ونشر معكوس وذلك لرعاية الفواصل، قال الرّمخشري: والمختال مقابل للماشي مرحاً، وكذلك الفخور للمصعّر خدّه كبيراً². وهي لفظة بلاغيّة لطيفة غاية في الجمال. وجوّز أن يكون لفاً ونشراً مرتباً فإنّ الاختيال يناسب الكبر والعجب، وكذا الفخر يناسب المشي مرحاً، ثمّ يضيف الألوسي³ لفظة أخرى يذكرها الإمام الشعراويّ عند قوله تعالى: ﴿...وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ...﴾ [سورة لقمان، ١٩].

لماذا جمع السّياق القرآن بين المشي والصّوت؟

قالوا: لأنّ للإنسان مطلوبات في الحياة، هذه المطلوبات يصل إليها، إمّا بالمشي فأنا لا أمشي إلى مكان إلا إذا كان لي فيه مصلحة ومرض - وإمّا بالصّوت فإذا لم أستطع المشي إليه ناديت بصوتي⁴.

يقول صاحب الكشاف عند قوله تعالى: ﴿...إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، ١٩]. الحمار مثل في الذمّ والشتيمة، وكذلك نهاقه. ثمّ يضيف: فتشبيه الرّافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثمّ إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة - وإنّ جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً - مبالغة شديدة في

1 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج20-21، ص166-167.

2 - الكشاف، الرّمخشري، ج5، ص16.

3 - روح المعاني، الألوسي، ج21، ص90.

4 - تفسير الشعراوي، محمّد متولي الشعراوي، ج19، ص11676.

الذمّ والتّهجين وإفراط في التشبيه عند رفع الصّوت والترغيب عنه وتنبيهه على أنه من كراهة الله بمكان.

ثمّ يتساءل صاحب الكشف من جديد: فإن قلت: لمّ وُحِد صوت الحمير ولم يُجمَع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كلّ واحد من آحاد هذا الجنس حتّى يُجمع، وإنما المراد أن يذكر صوت كلّ واحد من آحاد هذا الجنس حتّى يجمع، وإنما المراد أنّ كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس، صوت هذا الجنس فوجب توحيده¹.

في آخر هذه المحطة أوّلاً أن أنقل هذه الشبهة التي أوردتها الشّعراوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان، ١٧].

قال الإمام: هذا من المواضع التي وقف عندها المستشرقون يلتمسون فيها مأخذ على كلام الله ﷻ. يقولون:

■ ما الفرق بين قول القرآن: ﴿...إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان، ١٧].

و﴿...إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة الشورى، ٤٣].؟

■ ثمّ أيهما أبلغ من الأخرى، فإن كانت بليغة فالأخرى غير بليغة.

وهنا يردّ الإمام الكبير الشّعراوي بطريقة فيها من العمق والدقة وبعد النظر ما يتلج القلب ويُفحم كلّ منتقِصٍ ظالٍّ حيث يقول:

كلّ من الآيتين بليغة في سياقها، فانتني أكدت باللام جاءت بالمصيبة فيها غريم وتحتاج إلى صبر أكبر، أمّا الأخرى ففي المصيبة التي ليس لك فيها غريم، فهي بينك وبين ربّك والصّبر عليها هيّن يسير².

في الأخير يمكن القول: أنّ الآيات الكريمة تضمنت وجوها من البلاغة والبديع نوجزها على النحو الآتي:

- الطّباق بين [شكر.. وكفر].

- صيغة المبالغة [غنى حميد] وكذلك [لطيف خبير] و [فخور] لأنّ فعيل وفعول من صيغ المبالغة ومعناه كثير الحمد وكثير الفخر.

- ذكر الخاصّ بعد العامّ [بوالديه حملته أمّه] وذلك لزيادة العناية والاهتمام بالخاصّ.

1 - الكشف، الرّمخشري، ج5، ص18.

2 - تفسير الشّعراوي، محمّد متولي الشّعراوي، ج19، ص11676.

- تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر مثل [إلى المصير] [إلى مرجعكم] أى لا إلى غيري

- التمثيل [إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة] مثل ذلك لسعة علم الله لإحاطته بجميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها فإنه تعالى يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة .

- التميم [فتكن في صخرة] تتم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها وهذا من البديع.

- المقابلة [وأمر بالمعروف] ثم قال: [وأنه عن المنكر] فقابل بين اللفظين .

- الاستعارة التمثيلية [إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] شبه المتكبرين الرافعين أصواتهم بالحمير ، وأصواتهم بالتهيق ، ولم يذكر أداة التشبيه بل أخرجه مخرج الاستعارة للمبالغة في الذم ، والتنفير عن رفع الصوت .

تنبيه:

حين أمر تعالى بشكر الوالدين قدم شكره تعالى على شكرهما فقال: [أن اشكر لي] ثم أردفه بقوله: [ولوالديك] وذلك لإشعارنا بأن حق الله أعظم من حق الوالدين، لأنه سبحانه هو السبب الحقيقي في خلق الإنسان ، والوالدان سبب في الصورة والظاهر ، ولهذا حرم تعالى طاعتها على الإنسان إذا أراد إجباره على الكفر¹.

المطلب الثاني: المعنى الاجمالي للآيات

الفرع الأول: المقطع الأول (الآيات من 12 إلى 15، لقمان)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَافِيٍّ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مِمَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَن أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة لقمان، ١٢-١٥].

نبه الباري جل جلاله في هذه الآيات الكريمة إلى المقام الرفيع الذي أعطيه العبد الصالح (لقمان).. وذكر بحق الوالدين، وحذر من الشرك، الذي هو أعظم الجرائم

1 - صفوة القاسير، محمد علي الصابوني، ج2، ص454.

عند الله، فالله جلّ ثناؤه يخبرنا عن أمر ذلك العبد الصّالح، الذي رزقه الله الحكمة، وآتاه العقل والرّشد، فكان ينطق بالحكمة ويعلمها النّاس.

وقد عدّد سبحانه وتعالى بعض هذه النّصائح، التي أوصى بها (لقمان الحكيم) ولده، وكان من أهمّها وأخطرها، التحذير من (الكفر والإشراك) لأثمه نهاية القبح والشّناعة، قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج، ٣١]. يقول الله جلّ ثناؤه ما معناه: اذكر يا محمّد لقومك. موعظة لقمان لابنه، وهو أشفق النّاس عليه، وأحبهم لديه، حين نبّهه إلى خطر الشّرك بالله، وجحود نعمائه.

وحذره من ضرره، لأثمه ظلم صارخ، وعدوان مبين، لما فيه من وضع الشّيء في غير موضعه. فمن سوى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله الرّازق، والصنم الذي لا يسمع ولا ينفع ولا يغني عن صاحبه شيئاً. فهو- بلا شك- أحمق النّاس. وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة. وحرّي به أن يوصف بالظلم، ويجعل في عداد البهائم.

وبعد أن ذكر سبحانه ما أوصى به لقمان ابنه من شكر المنعم، وذكر ما في الشّرك من الشّناعة. أتبعها سبحانه بوصيّة مستقلّة عن وصايا لقمان ألا وهي (الوصيّة بالوالدين) ليشير إلى قبح الشّرك، ويؤكد حكمة الرّجل الصّالح (لقمان) لابنه في نهيه عن الشّرك فكأنّه تعالى يقول: مع أنّنا أوصينا الإنسان بوالديه، وأمرناه بالعطف عليهما، والإحسان إليهما، والزمناه طاعتهما لما تحمّلا في سبيله من المتاعب والمصاعب، مع كلّ هذا فقد حذرناه من طاعتهما في حالة الشّرك والعصيان، لأثمه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالوضع السليم بين (الأب وابنه) هي الطّاعة والإحسان، وامتثال كمال الأدب مع من ربّاه وتعب في شأن تربيته.

قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿٢٤﴾ [سورة الإسراء، ٢٤]. فإذا تغيّر الوضع، وأصبح الأب والأمّ مدعاة للشّرك،

ومصدراً للعصيان، فلا سمع ولا طاعة ولا استجابة لصوت الضلال، مهما بذلا من جهد، ومع كلّ ذلك فقد ختم الله جلّ ثناؤه الآية الكريمة بوجوب صحبتها بالمعروف والإحسان إليهما في الدّنيا حتّى ولو كانا مشركين، لأنّ حقهما على ولدهما عظيم، وكفرهما بالله لا يستدعي ضياع المتاعب التي تحمّلاها في تربية الولد، فالإحسان

إليهما واجب، وطاعتها في معصية الله ممنوعة، واتباع سبيل المؤمنين الصادقين هو الطريق السوي الذي يوصل إلى رضوان الله تعالى.

الفرع الثاني: المقطع الثاني (الآيات من 16 إلى 19، لقمان)

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة لقمان، ١٦-١٩].

يقول الشيخ وهبة الزحيلي¹ في تفسيره - التفسير الوسيط - في معرض حديثه عن الآيات:

هذه بقية نصائح لقمان الحكيم لابنه، يقصد في النصيحة الأولى إعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى، فيا بني، إن الحسنه أو السيئة لو كانت تساوي وزن أصغر شيء، مثل وزن حبة الخردل، وكانت في أخفى مكان، كجوف صخرة، أو في أعلى مكان كالسماوات، أو في أسفل موضع كباطن الأرض، أحضرها الله في يوم الحساب، إن الله لطيف العلم، يصل علمه إلى كل شيء خفي، خبير ببواطن الأمور. واللفظ والعلم: صفتان لا تفتان بإظهار غرائب القدرة الإلهية.

و يا بني، الزم إقامة الصلاة: وهي العبادة المخلصة لوجه الله، وأدائها كاملة الأركان والشروط، وأمر بالمعروف: وهو الذي يقره الشرع الإلهي، وانه عن المنكر: وهو الذي يمنعه الشرع الإلهي، واصبر على المصيبة والتشدائد والأذى، إن ذلك المذكور: من عزائم الأمور، أي مما عزمه الله وأمر به. والصبر هنا للحض على تغيير المنكر وإن نالك ضرر. وهذا إشعار بأن مغير المنكر يؤذى أحياناً، وهذا على جهة التدب، لا على سبيل الإلزام، وهذه الأوامر تشتمل عظام الطاعات والفضائل أجمع. ويا بني لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلموك تكبراً واحتقاراً، أي بل كن متواضعاً سهلاً هيناً لينا، منبسط الوجه، مستهل البشر. ولا تسر في الأرض مختالاً متبخراً، جباراً عنيداً، فإن تلك المشية يبغضها الله تعالى، والله يعاقب كل مختال في مشيه، معجب في نفسه، فخور على غيره.

1 - وهبة بن مصطفى الزحيلي، ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام 1932 م، وكان والده حافظاً للقرآن الكريم عاملاً بحزم به، محباً للسنة النبوية، مزارعاً تاجراً، تابع تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، فحصل على الشهادة العالية وكان ترتيبه فيها الأول عام 1956م، تخصصه العلمي الدقيق في الفقه وأصول الفقه، ويدرّسها مع الفقه المقارن في كلية الشريعة ومواد الشريعة في كلية الحقوق بجامعة دمشق والدراسات العليا فيهما، من شيوخه: الشيخ محمود ياسين في الحديث النبوي، وشيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت، ومن تلامذته: الدكتور محمد الزحيلي شقيقه، والدكتور محمد فاروق حمادة، ومن كتبه: آثار الحرب في الفقه الإسلامي - مقارنة بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي، والتفسير الوجيز. (بطاقة كتاب: التفسير الوسيط، عن المؤلف، www.shamela.ws، الإصدار 3.61).

وامش مشياً متوسطاً معتدلاً، ليس بالبطيء المستضعف تزهداً، ولا بالسريع المفرط الذي يثب وثب الشيطان. والمشي مرحاً: هو في غير شغل ولغير حاجة. ومشاة المرح: هم الملازمون للفخر والخيلاء، فالمرح: مختال في مشيته. ولا ترفع صوتك رفعا شديدا لا فائدة منه، وأخفضه، فإن شدة الصوت تؤذي آلة السمع، وتدلّ على الغرور، والاعتزاز المفرط بالنفس، وعدم الاكتراث بالغير. وإن اعتدال الصوت أوفر للمتكلم، وأقرب لاستيعاب الكلام ووعيه وفهمه. وإن رفع الصوت أكثر من اللازم يشبه صوت الحمير، وإن أقبح الأصوات لصوت الحمير، وذلك ممّا يبغضه الله تعالى، لأنّ أوله زفير وآخره شهيق. وأنكر الأصوات، أي أقبح وأوحش وأراد بكلمة لصوت الحمير الصوت: اسم جنس، ولذلك جاء مفردا.

وفي ذلك دلالة على نَمّ رفع الصوت من غير حاجة، لأنّ التشبيه بصوت الحمار يقتضي غاية الذمّ. وأكد الثبي صلي الله عليه وسلم ذلك فيما رواه الجماعة عن أبي هريرة قال: « إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا»¹.

ويلاحظ الحكمة في توجيه النصائح، فلمّا نهى لقمان ابنه عن الخلق الذميم، ومستنكر الأخلاق، رسم له طريق الخلق الكريم الذي ينبغي له أن يستعمله، من القصد في المشي: وهو ألا يشتط في السرعة، ولا يراني في الإبطاء، ولا يمشي مختالا متبخترا، ولا يرفع الصوت أكثر من المعتاد، لأنّ غضّ الصوت أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع وفهمه. إنّ دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالله وبقدرته، وإلى عبادة الله وتوحيده، وإلى إقام الصلاة، والأمر بالفضيلة، ومحاربة الرذيلة، والأوضاع واعتدال المشي، تلتقي مع مقتضى الحكمة التي يتوصّل إليها الحكماء من خلال التجارب والمعاملة.

المطلب الثالث: القراءات الواردة في الآيات²

وفي هذا الجانب بإذن الله سوف لن نتعرّض للتحريرات والطرق، إذ لذلك كتبنا عنيت ببحثها وتفصيلها يرجع إليها لمن أراد، فهذا ليس موضعها³.

عند الإشارة إلى القراءات يجب التنبية على أهميتها وأثرها في التفسير وما ينجرّ عن ذلك من مسائل مختلفة كالمسائل الفقهية وغيرها، صف إلى ذلك كون علم القراءات من أشرف العلوم الشرعية، لارتباطه بكتاب الله تعالى من حيث ضبط الرّسم حروفاً وكتابة، تشكيلا ونقطاً، وصيانة اللفظ قراءة ونطقاً، وتدبر المعاني فهماً وتدوقاً، عملاً وتطبيقاً.

1 - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ح/ رقم: (3303)، ج4، ص128، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك رقم 2729. (نهيق الحمار) صوته المنكر من طريق أبي هريرة.

2 - الميسر في القراءات الأربع عشرة، محمد فهد خاروف، ص427، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، ط1: 1420هـ، 2000م.

3 - انظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهراّن النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1981 م، عدد الأجزاء: 1، ص351-353.

غير أنه ولتَشَعُّبها وتنوع تناولها في الكتب المتخصصة ارتأيت أن أعتمد على كتاب الأشر في القراءات العشر وكتاب الميسر في القراءات الأربعة عشر لوضوحه ودقته وسهولته وكذا تحرير مسائله من قبل مؤلفه، وكان مما جاء في آيات وصايا لقمان ما يلي:

الفرع الأول: القراءات المتواترة

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ...﴾ [سورة لقمان، ١٢]. وقف حمزة بالتحقيق مع السكت وعدمه، وبالثقل. وبالثقل ورش من طريقه. وقرأ بثلاثة البدل الأزرق، وقرأ بالسكت على الساكن قبل الهمز: ابن ذكوان، وحفص، وحمزة، وإدريس بخلفهم.

﴿... أَنْ أَشْكُرُ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢-١٤]. معـ: أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب. وافقهم الحسن¹ والمطوعـ².

﴿... أَنْ أَشْكُرُ ...﴾ [سورة لقمان، ١٢-١٤]. قرأ الباكون.

﴿... وَهُوَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر. وافقهم اليزيدي³ والحسن.

﴿... وَهُوَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. قرأ الباكون، ووقف يعقوب بهاء السكت.

﴿... يَبْنِي ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. قرأ حفص.

1 - هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، سنة: 21هـ، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكنبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تنصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة - خ) بالأزهرية. توفي بالبصرة. سنة: 110 هـ. (الأعلام للزركلي ج2، ص226).

2 - هو الإمام، شيخ القراء، مسند العصر، أبو العباس الحسن بن سعيد بن جعفر العبَّاداني المَطَّوعِي، نزيل إصطخر، ولد نحو السبعين ومائتين للهجرة، سمع: أبا مسلم الكجِّي، وأبا عبد الرحمن الثَّسائِي، وإدريس بن عبد الكريم المقرئ، وزعم أنه تلا عليه، وعلى عدة من الكبار، روى عنه: أبو نعيم، وأبو بكر بن أبي علي، ومحمد بن عبيد الله الثَّسَائِي، وتلا عليه: أبو عبد الله الكارزِينِي، وجماعة، وكان أئوفاً واعظاً محدثاً. وقال في سنة سبع وستين وثلاث مائة: لي ثمان وتسعون سنة، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة. (سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، ج16، ص261).

3 - هو شيخ القراء، أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، البصري، الثخوي، وعرف باليزيدي، لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور، جود القرآن على: أبي عمرو المازني، وحذث عنه، وعن: ابن جريج، تلا عليه خلق، منهم: أبو عمر الدوري، وأبو شعيب السوسي، وحذث عنه: ابنه؛ محمد، وروى عنه قراءة أبي عمرو: بنوؤه؛ محمد، وعبد الله، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وحفيده؛ أحمد بن محمد، وأبو حمزوث الطيب، وله اختيار في القراءات، لم يخرج فيه عن السبع، وألف كتاب (الخواصر)، وكتاب (المقصود) = (الممدود)، عاش أربعاً وسبعين سنة، وتوفي ببغداد، سنة اثنتين ومائتين، وقيل: بل كانت وفاته بمرور، في صحابة المأمون. (سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، ج9، ص563).

﴿... يَبْنِي ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. ابن كثير. وافقه ابن محيصن¹.

﴿... يَبْنِي ...﴾ [سورة لقمان، ١٣]. الباقر.

﴿...إِلَى...﴾ / ﴿...إِلَى...﴾ [سورة لقمان، ١٤-١٥]. معاً: وقف بهاء السكت بخلف عنه.

﴿... فَأَتَبِّئُكُمْ ...﴾ [سورة لقمان، ١٥]. بتحقيق الأولى، وتسهيلها، وعلى كل في الثانية التسهيل، والإبدال ياء خالصة وقف حمزة.

﴿يَبْنِي إِنَّهَا...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. قرأ حفص.

﴿يَبْنِي إِنَّهَا...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. قرأ الباقر.

﴿... مِثْقَالُ ...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. قرأ نافع وأبو جعفر.

﴿... مِثْقَالُ ...﴾ [سورة لقمان، ١٦]. قرأ الباقر.

﴿يَبْنِي أَمِ الصَّلَاةَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٧]. قرأ البري، وحفص.

﴿يَبْنِي أَمِ الصَّلَاةَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٧]. قرأ قنبل. وافقه ابن محيصن.

﴿يَبْنِي أَمِ الصَّلَاةَ ...﴾ [سورة لقمان، ١٧]. قرأ الباقر.

﴿وَلَا تُصَاعِرْ...﴾ [سورة لقمان، ١٨]. قرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف. وافقه اليزيدي، والأعمش².

﴿وَلَا تُصَاعِرْ...﴾ [سورة لقمان، ١٨]. قرأ الباقر.

1 - هو محمد (أو عمر، أو عبد الله: اشتهر بكنيته، فاختلّفوا في اسمه). بن عبد الرحمن ابن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص المكي: مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقرآت المشهورة. وكان لا بأس به في الحديث. روى له مسلم والترمذي والنسائي حديثاً واحداً، توفي سنة: 123هـ - 741م. (الأعلام للزركلي ج6، ص189).

2 - الأعمش سلیمان بن مهران الكاهلي، الإمام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، الخافظ. أصله: من نواحي الرّي. قبيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، في سنة 61هـ، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً. وقيل: حملاً. قد رأى أنس بن مالك، وحكى عنه. وروى: عنه وعن: إبراهيم الخعي، وسعيد بن جببر، مات الأعمش سنة 147هـ. (سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج6، ص226-247).

الفرع الثاني: القراءات الشاذة

﴿...وَفَضَّلَهُ...﴾ [سورة لقمان, ١٤]. قرأ الحسن. الفصل أعْمُ من الفصل لأنه استعمل في الرّضاع وغيره. والفصل هنا أوقع لأنه موضع يختصُّ بالرّضاع.

﴿... تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان, ١٥]. قرأ المطوعي قاعدة كسر حرف المضارعة - وهي لغة مطردة في حرف المضارعة، وذلك بشرط أن لا يكون حرف المضارعة ياء لتقل ذلك، وكان مفتوح العين، وكان ماضيّه ثلاثياً مكسوراً أو زاد على الثلاثة وبدأ بهمزة الوصل وذلك مثل: (تَعْمَلُ، نَطْمَعُ، نَعْمَلُ، تَسْتَبِقُ، نَهْتَدِي... إلخ) ونحو ذلك.

✓ ملاحظة: 1

1. رأيت ما رأى صاحب كتاب الميسر في القراءات الأربع عشرة أن أضيف إلى القراءات المتواترة من القراءات العشر، القراءات الأربع الشاذة الرائدة على العشر على اختلاف رواياتها.
2. وقد أجمع الأصوليون، والفقهاء، وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن، لفقد شرط التواتر فيه، والجمهور على تحريم القراءة به وأجمعوا كذلك على أنه لم يتواتر شيء ممّا زاد على العشرة المشهورة. غير أنهم أجازوا تدوينه في الكتب، وتعلمه وتعليمه، والتكلم على ما فيه.
3. ثم إن القراءات الشاذة يعدّها المفسرون موضحة ومفسرة لوجوه القراءات الصحيحة ومحل ذلك كتب التفسير.

المطلب الرابع: استنباط الأحكام الواردة في الآيات

ممّا لا شكّ فيه أنّ استنباط الأحكام قد اشتغل عليه كثيرٌ من المفسرين الكبار، وعلى التسليم بجدلية الاجتهاد بالرأي المحمود فليس هنا مجال لبسط الحديث فيها غير أنني وأنا أتصفح كتب التفسير كالجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتحرير والتنوير و... وجددتني أفف على كنوز عظيمة حوتها آيات القرآن الكريم ولعلّ وصايا لقمان أخذت نصيباً من ذلك كله. ثم إن استنباط الأحكام والفوائد التربوية والعملية والإيمانية من هذه الآيات وغيرها، لعمري هذا من أهم ما ينبغي أن يُراعى في التفسير وهذا الذي يحصل بسببه علم كثير وخير عظيم لمن اهتم به وحرص عليه. وإليكم بعضاً منها:

يقول سيّد في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ وَيُبْنِي لَا

تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [سورة لقمان، ١٣].... وإيها لعظة غير
مُتَّهَمَةٌ، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً، فالنصيحة
من الوالد لولده مبرّاة من كلّ شبهة بعيدة من كلّ ظئفة¹.

وبالرجوع للقرطبي في تفسيره للآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا

عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [سورة لقمان، ١٤].

فيسوق فائدة هي: أنّ الناس مجمعون على العامين في مدّة الرّضاعة في باب الأحكام
والنّفقات وأمّا في تحريم اللبن فحدّدت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص. وقالت فرقة:
العامان وما اتّصل بهما من الشّهر ونحوه إذا كان مُتّصل الرضاع. وقالت فرقة: إن
فطم الصّبيّ وترك اللبن فإنّ ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يُحرّم².

ويضيف القرطبيّ عند قوله تعالى: ﴿... أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ...﴾ [سورة

لقمان، ١٤]. فذكر: أنّ سفيان بن عُيينة قال: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر
الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما³.

يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ... إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ

جَاهَدَاكَ ... بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [سورة لقمان، ١٤-١٥]... وجملة هذا الباب أنّ

طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فريضة على الأعيان، وتلزم
طاعتها في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات الثّدب، ومنه أمر الجهاد
الكيفائي. والإجابة للأّمّ مع إمكان الإعادة على أنّ هذا أقوى من الثّدب، لكن يُعطل
بخوف هلكة عليها ونحوه ممّا يبيح قطع الصلّة فلا يكون أقوى من الثّدب⁴.

وبالانتقال إلى صاحب البحر المحيط فإننا نجده يقول عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٦﴾ [سورة

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، مج5، ج19-25، ص2788.

2 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج14، ص50.

3 - المرجع نفسه.

4 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13-14، ص49.

لقمان، ١٩]. قيل: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾، إشارة إلى الأفعال، و﴿...وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ...﴾، إشارة إلى الأقوال¹.

أما عند قوله تعالى: ﴿... وَصَاحِبُهُمَا ...﴾ [سورة لقمان، ١٥]. قال الإمام القرطبي: إن ذكر الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق².

وأضاف يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿... وَأَصْبِرْ ...﴾ [سورة لقمان، ١٧]. قيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله ﷻ (وهذا قول حسنٌ يعم، يقول القرطبي)³.

ثم يقول الإمام القرطبي في المسألة الثالثة عند قوله تعالى: ﴿... إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان، ١٧]. أن ابن عباس قال: من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره. ورجح قول ابن جريج⁴: إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي مما عزمه الله وأمر به⁵. في المسألة الثالثة يضيف أيضاً عند قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، ١٨]. ربط القرطبي بينهما وبين حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء»⁶. إشارة منه إلى أن النهي عن المشي خيلاء تستوعبه الآية.

ودائماً مع قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ...﴾ يقول الألوسي: ما يُكره من الفخر كثرته، فإن القليل منه يكثر وقوعه، فإله الله تعالى بالعفو عنه، وهذا كما لطف بإباحة اختيال المجاهد بين الصّفين وإباحة الفخر بنحو المال لمقصد حسن⁷.

1 - البحر المحيط، لأبي حيان، ج7، ص184.
2 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13 - 14، ص50.
3 - المرجع نفسه، ج13 - 14، ص50.
4 - صحيح إبيه: الطبري (95/21) في تفسيره.
5 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13 - 14، ص52.
6 - صحيح البخاري، ج7، ص141، رقم: 5784، كتاب اللباس، باب من جرّ إزاره خيلاء، من حديث ابن عمر / صحيح مسلم، ج3، ص1651، ح: 2085، كتاب اللباس والرّينة، باب تحريم جرّ الثوب خيلاء من حديث ابن عمر.
7 - روح المعاني، الألوسي، ج21، ص90.

عند تفسير قوله تعالى: ﴿... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة لقمان, ١٩]. في المسألة الرابعة يقول القرطبي: في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة (أي الخصومة). بقبح صوت الحمير لأنها عالية¹. وبالعودة إلى العلامة ابن عاشور في تحريره: وقد جمع لقمان في هذه الموعظة أصول الشريعة وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس².

✓ **ملاحظة:** سيأتي شيء من التفصيل في المبحث الثالث.

ومن استنباطات الإمام ابن عاشور أيضاً عند تفسيره لآيات وصايا لقمان: إن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل، لهذا ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله³.

إن مجاهدة الوالدين على الشرك تزيد اتضاحاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا... ﴿١٥﴾﴾ [سورة لقمان, ١٥]. وقد قال القرطبي: إن امرأة لقمان وابنه كانا مشركين فلم يزل لقمان يعظهما حتى آمنا. والمجاهدة في الآية تعني: التأكيد للثهي عن الإصغاء إليهما إذا دعوا إلى الإشراك⁴. وهذه مجموعة من الفوائد والاستنباطات جمعتها متفرقة من أبحاث وكتب التفسير المختلفة بشيء من التصرف:

والبداية بهذه الجملة من القيم التربوية التي نستشفها من الآيات:

- من خلال الآيات نستنتج أنه من الضروري أن يجلس الأب مع ابنه دائماً كي يعظه ويوجهه ويؤدبه ويربّيه.
- شرع لنا القرآن الوصية في أمور الدنيا والآخرة.
- عند النصيحة على الأب أو المربي أن يستخدم أسلوب الحب والشفقة ليُشعر الولد بأن النصيحة نابعة من باب الخوف عليه والحرص على مصلحته ويتجلى ذلك في قول لقمان لابنه (يَبْنِي). في المقابل ضرورة عدم استعمال الألفاظ الجارحة والكلمات التي تنقص من شأن الابن، عندها فقط يزيد قبول النصيحة لمن هو محلّ النصيح.
- التدرج في النصيحة، الأولى فالأولى: العقيدة أولاً ثم برّ الوالدين وهكذا.

1 - الجامع لأحكام القرآن ج 13 - 14، ص 55

2 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 20 - 21، ص 154.

3 - المرجع نفسه، ج 20 - 21، ص 155.

4 - المرجع نفسه، ج 20 - 21، ص 160.

- عند النصيحة والوعظ يجب استعمال أسلوب الإقناع، كما فعل سيدنا لقمان:
بالدليل المنطقي، العملي (... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، ثمّ وبالذليل الماديّ
والفكر (... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ...)، وكذا استعمال ضرب الأمثلة
(... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ...).

كما يمكننا أن نجمل أهم الاستنباطات من الآيات في الآتي:

أولاً: تبنى العقيدة على أساس التوحيد، أي عدم الشرك بالله ﷻ: (... لَا تُشْرِكْ
بِاللَّهِ...).

ثانياً: الصلوة أساس العبادات فهي عماد الدين (يَبْنِي أَقَمَ الصَّلَاةَ...).

ثالثاً: تبنى المعاملات بين الناس على أساس عدم التكبر عليهم (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ...).

رابعاً: حتى تصل رسالتك وتحقق هدفك عليك أن تبنى كلامك على أساس من اللين
(يَا بُنَيَّ...).

خامساً: الهدف الذي نسعى إليه من كلّ ما سبق هو الدعوة إلى الله ﷻ (... وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ
مَنْ أُنَابَ إِلَيَّ...).

ومن بين الفوائد الجديرة بالذكر هنا، هو تلكم المعالم التربوية الحكيمة التي
تعزّزها الآيات نضعها بين أيدي القراء في هذا البحث:

- أنّ كتاب الله تعالى هو كتاب الحكمة لأئنه نزل من الله الحكيم.
- التربية على الحكمة ضرورة وفريضة.
- التربية الوقائية من كلّ مفسدة في العقيدة والسلوك.
- التربية من خلال ربط عالم الشهادة بعالم الغيب لتأكيد عالم الغيب.
- التربية على معاني العظمة لله العظيم.
- التربية بالمقارنة بين الشيء ونقيضه.
- التربية بتعزيز معاني الشكر ونبذ الشرك.
- التربية ببيان قيمة الأمر قبل الأمر والتكليف.

- التّربية على البرّ المنضبط بأمر الله تعالى.
- التّربية على رباعية القيم العالية (العقيدة والعبادة والدّعوة والسّلوک).
- أنّ اشتغال الإنسان بتربية أولاده على شكر الله كفيلاً بأن يجعلهم من الشّاكرين له البارّين به بعون الله تعالى.
- التّربية المباشرة على الرّقابة الإلهية.
- التّربية على القصد والاعتدال والتّوازن وضبط الأمور.
- التّربية بالموعظة المباشرة.
- التّربية بالقدوة الحسنة.
- التّربية بالتّدبّر والنّظر والمقايسة والمقارنة.
- بيان أنّ الجهل والكبر من أكبر عوائق التّربية.
- بيان أنّ الأبائية والتّقليد من الحواجب عن التّربية القويمة.
- بيان أنّ من أهداف التّربية وغاياتها السّامية أن يُسلم الإنسان وجهه لله ربّ العالمين.
- التّربية بالحوار والسّؤال.
- التّربية باستعراض أسماء الله تعالى وصفاته.
- التّربية بالموازنة بين عزّة الله تعالى ولطفه بالبشر.
- التّربية على تعظيم الخالق بإظهار ضعف الخلق.
- التّدرج في التّربية ضرورة حيث انتقلت الآيات من تعزيز العقيدة في الثّفوس إلى تأكيد أهمية العبادة لحامل العقيدة، ومنها إلى تحميل العابد همّ الدّعوة إلى الله، ثمّ الدّأسيس لما يتطلّبه العابد الحامل للدّعوة من سلوک قويّم.

المبحث الثالث: التفسير الموضوعي للآيات

بعد أن أصبح التفسير الموضوعي علما على نوع من أنواع التفسير، فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له، ولعلّ التعريف الأرجح له: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر في القرآن الكريم كلّها ويفسر تفسيراً علمياً على أساس الموضوع"¹.

ثم إن علماءنا الأجلاء قد عنوا بتفسير القرآن الكريم تفسيراً جمعوا فيه بين المطول والمختصر والمتوسط، ومنهم من اهتم بالناحية البلاغية، أو الناحية الفقهية أو بالناحية اللغوية.

بيد أننا لا نجد منهم من تعرّض لتفسير القرآن الكريم "تفسيراً موضوعياً" فقط، يكشف به للناس عمّا فيه من تشريعات وقواعد تتصل بحياتهم ومشاكلهم، وتبيّن لهم ما به من أحكام ومبادئ تشعرهم بما للقرآن الكريم من اتصال وثيق بالنظم السياسية والاجتماعية والحرية والسلوك الأخلاقي، وتشعرهم - كذلك - بأنّه معهم في كلّ شأن من شؤون الحياة، وأنّ له حكمه الواضح، وهديه البارز في كلّ مظاهر السلوك الفردي والجماعي.²

وعليه فإنّ الوفاء بحاجات هذا العصر إلى الدين لجميع البشر، لما يقدم لهم من حلول لمشكلاتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم.

والدّارس لآيات وصايا لقمان في القرآن الكريم، يجدها مجموعة مواضيع، وجب دراستها وفق منهج التفسير الموضوعي، وهو ما نصبوا أن نوقّق فيه ضمن هذا الجزء الأخير من البحث، غير أنّه جدير بالذكر أن ننوّه إلى أنّي سأتناول مواضيع الوصايا بصورة مختصرة مع التركيز على المهمّ دون الغوص في التفاصيل، لأنّ الأمر يحتاج إلى بحوث مستقلة، تكون بحجم بحثنا هذا كلّها.

وهذه أهمّ المواضيع:

المطلب الأول: التعريف بلقمان صاحب الوصايا

بداية لكلّ متدبّر لأيّ القرآن، وقفة لا بدّ منها مع سيّدنا لقمان عليه السلام، حين تعرّض له آيات وصايا لقمان، فمن المؤكّد أن ترتسم في مخيلته، كثير من الأسئلة منها على وجه الخصوص:

1 - البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، هناء عبد الله سليمان أبو داود، 1425هـ / 1426هـ، جامعة أمّ القرى، ص4.

2 - المرجع نفسه، ص6.

من هو لقمان؟

لقد أنعم الله على سيّدنا لقمان إذ أنزل فيه سورة تحمل اسمه تُتلى إلى يوم القيامة، تتحدّث عن وصاياه لابنه، وتصف فيها حكمته التي وهبها الله له، من هنا جاءت مكانته بين المسلمين، فصار لقمان شخصيّة تاريخيّة مشهورة لها مكانتها بينهم، غير أنّ المتنبّع لسيرته وأخلاقه لا بدّ وأن يجد اختلافاً كثيراً بين الباحثين فيها قديماً وحديثاً.

الفرع الأول: ما قاله المفسّرون في لقمان

وهذه آراء بعض المفسّرين القدامى منهم والمحدثين حول شخصيّة لقمان:

والبداية مع إمام المفسّرين الطّبري، إذ أخرج كعادته في تفسيره، عدداً من الأحاديث النبويّة الشّريفة، التي يظهر في مجملها أمر الاختلاف في كلّ ما يتعلّق بلقمان ومن ذلك:

" قال قتادة¹: ولم يكن نبياً، ولم يوح إليه. عن مجاهد² أنّه قال: كان لقمان رجلاً صالحاً، ولم يكن نبياً. وعن مجاهد أيضاً، قال: كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً، غليظ الشّفتين، مصفّح القدمين، قاضياً على بني إسرائيل. وعنه كذلك، قال: كان لقمان عبداً أسوداً، عظيم الشّفتين، مشفّق القدمين. عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً.³"

وقد أخرج القرطبيّ في جامعهم لأحكام القرآن، عدداً من أقوال العلماء حول لقمان منها:

" هو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارح، وهو أزر أبو إبراهيم، كذا نسبته محمّد بن إسحاق. وقيل: هو لقمان ابن عنقاء بن سرون وكان نوبياً من أهل أيلة، ذكره السهيلي. قال وهب: كان ابن أخت أيوب. وقال مقاتل: ذكر أنّه كان ابن خالة أيوب. الزمخشري: وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته، وقيل كان من أولاد أزر، عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلوة والسلام وأخذ عنه العلم، وكان يقني قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذ كُفيت. وقال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل. وقال سعيد ابن المسيب: كان لقمان أسوداً من سوّدان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة، وعلى هذا جمهور أهل التأويل أنّه كان ولياً ولم يكن نبياً. وقال بنبوته عكرمة والشّعبي، وعلى هذا تكون الحكمة النبوة. والصواب أنّه كان رجلاً حكيمًا بحكمة الله تعالى - وهي الصواب في

1 - قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قُدوة المفسرين والمحدثين الضّرير الأكمه، ولد سنة 60هـ، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وآخرين، وكان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وروى عنه أئمة الإسلام الأوزاعي، شعبة بن الحجاج، وآخرون، وهو حجة بالإجماع، مات بواسط في الطاعون سنة 118هـ. (سير أعلام النبلاء للذهبي، ج5، ص269).

2 - مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم. ولد سنة 21هـ، تابعي، مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، له كتاب في التفسير، مات سنة 104هـ، قيل: أنه مات وهو ساجد سنة 103هـ، وهو ابن 83 بمكة، (الأعلام للزركلي، ج5، ص278).

3 - جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج20، ص135.

الْمُعْتَفَدَاتِ وَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ - قَاضِيًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَسْوَدَ مُشَقَّقَ الرَّجُلَيْنِ ذَا مَشَافِرَ، أَيِ عَظِيمِ الشَّفَقَتَيْنِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.¹

أما صاحب البحر المحيط فقد حكى في تفسيره الآتي:

" اِخْتَلَفَ فِي لُقْمَانَ، أَكَانَ حُرًّا أَمْ عَبْدًا؟ فَإِذَا قُلْنَا: كَانَ حُرًّا، فَقِيلَ: هُوَ ابْنُ بَاعُورًا. قَالَ وَهَبٌ: هُوَ ابْنُ أُخْتِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: ابْنُ خَالَتِهِ. وَقِيلَ: كَانَ مِنْ أَوْلَادِ آزَرَ، وَعَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَدْرَكَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَكَانَ يُقْتَلُ قَبْلَ مَبْعَثِ دَاوُدَ، فَلَمَّا بُعِثَ دَاوُدُ، قَطَعَ الْفَنَوَى، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ؟ فَقَالَ: أَلَا أَكْتَفِي إِذَا كُنَيْتُ؟ وَكَانَ قَاضِيًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ قَاضِيًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَزَمَانُهُ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا. وَقَالَ عِكْرَمَةُ، وَالشَّعْبِيُّ: كَانَ نَبِيًّا. وَإِذَا قُلْنَا: كَانَ عَبْدًا، اِخْتَلَفَ فِي جِنْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ: كَانَ نُوبِيًّا مُشَقَّقَ الرَّجُلَيْنِ ذَا مَشَافِرَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَغَيْرُهُ: كَانَ حَبَشِيًّا مَجْدُوعَ الْأَنْفِ ذَا مِشْفَرٍ. وَاخْتَلَفَ فِيمَا كَانَ يُعَانِيهِ مِنَ الْأَشْغَالِ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الرَّبِيعِ: كَانَ نَجَّارًا، وَفِي مَعَانِي الزَّجَّاجِ: كَانَ نَجَّادًا، بِالذَّلَالِ. وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: كَانَ خَبَّاطًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَاعِيًّا. وَقِيلَ: كَانَ يَحْتَطِبُ لِمَوْلَاهُ كُلَّ يَوْمٍ حُزْمَةً. وَهَذَا الْإِضْطِرَابُ فِي كَوْنِهِ حُرًّا أَوْ عَبْدًا، وَفِي جِنْسِهِ، وَفِيمَا كَانَ يُعَانِيهِ، يُوجِبُ أَنْ لَا يُكْتَبَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُنْقَلُ. لَكِنِ الْمُفَسِّرُونَ مُوَلِّعُونَ بِنَقْلِ الْمُضْطَرِّبَاتِ حَشْوًا وَتَكْثِيرًا، وَالصَّوَابُ تَرْكُهُ.²

أما الألويسي في روح المعاني: فبعد أن نقل جملة من الأقوال عن لقمان، قال: "...ولا وثوق لي بشيء من هذه الأخبار، وإنما نقلتها تأسيًا بمن نقلها من المفسرين الأخيار عن أبي أختار: كان رجلا صالحا حكيما ولم يكن نبيا."³

وأخيرا مع إمام العصر الشيخ الشعراوي فقد قال في هذا الشأن: "... وقد اختلف العلماء فيه: أهو نبي أم غير نبي، والغالب أنه غير نبي؛ لأن القائلين بنبوته ليس لهم سند صحيح، والجمهور اجتمعوا على أنه رجل صالح مرهف الحس، دقيق الإدراك، والحس كما قلنا هو الأصل الأول في المعلومات، وكان لقمان لا يمر على الأشياء إلا بهذا الحس المرهف والإدراك الدقيق العميق، فتتكون لديه مُدْرَكَاتٌ ومواجيد دقيقة تختمر في نفسه، فتتجمع لديه مجموعة من الفضائل والقيم التي تسوس حركة حياته، فيسعد بها في نفسه، بل ويسعد غيره من حوله بما يملك من المنطق المناسب والتعبير الحسن، كذلك كان لقمان."⁴

1 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص59.

2 - البحر المحيط، أبي حيان، ج7، ص181.

3 - روح المعاني، الألويسي، ج11، ص82.

4 - تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ج19، ص11612.

وللعلماء أبحاث حول شخصية لقمان وجنسيته وعمله، غير أنه وبدافع العمل الأكاديمي وجب التطرق إليه وفق المنهجية الآتية:

أولا يجب أن نسجل الملاحظات الآتية:

- لم أفق على شيء في كتاب الله ﷻ بخصوص لقمان إلا في هذه السورة المباركة، وكذا لم يثبت عنه شيء في سنة رسول الله ﷺ، هكذا يقول أصحاب العلم والمفسرون.
 - إن الاختلاف تناول الزمان والمكان اللذين عاش فيهما، والصفة التي كان عليها، وبعضها من جوانب حياته.
 - مثل هذا الاختلاف يعدّ طبيعياً ومقبولاً، إلا أن التّطرف الذي قد دفع بعضهم إلى أن وصف شخصيته بالأسطورية لا يمكن أن يقبل أبداً.
 - يكفينا نحن في إثباته أنّ القرآن قد ذكره، وليس هناك مصدر تاريخي عالمي أوثق من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- وعلى ضوء ما أوردنا من أقوال العلماء والمفسرين نصل إلى:

الفرع الثاني: ترجمة وجيزة لسيدنا لقمان

1- اسمه ونسبه:

لقمان اسم أعجمي لا عربي.¹ وقيل غير ذلك، وهو أنّ اسم لقمان ليس غريباً على السامعين بل وليس غريباً عن العرب والعربية، فصيغته صيغة عربية، ويرجح أنه مشتق من (لقم) وهذا وذاك قد يدلان على عروبة المسمى.² وقيل لقمان: اسم علم مادته مادة عربية مشتق من اللقم، والأظهر أنّ العرب عربوه.³

2- وقد اختلف في نسبه:

قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو إبراهيم الخليل عليه السلام هكذا ذكره ابن إسحاق، وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبياً من أهل من أهل إيالة ذكره السهيلي قال وهب: "كان ابن أخت أيوب عليه الصلاة والسلام"، وقال مقاتل ابن خالته، وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعثه، فلما بعث قطع الفتوى⁴ وقيل أنه كان قاضياً في زمن داود عليه السلام.⁵

1- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج7، ص288، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط:7، 1323 هـ .

2 - يرجع إلى كتب التفسير عند تفسيرهم لآيات وصايا لقمان.

3 - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج21، ص151.

4 - الكشف، الزمخشري، ج3/ص493، وكذلك القرطبي: في الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص59.

5 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص334.

3- أوصافه:

قال ابن عباس: كان عبداً حبشياً¹.

وقال قتادة: عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم في شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً أفتس من النوبة².

وقال مجاهد: كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين، مشفق القدمين⁴، وفي رواية مصفح القدمين.

4- صفاته:

كان لقمان من أخير الناس، حكيماً وفطيناً، رقيق القلب، صادق الحديث، صاحب أمانة وعفة، وعقل وإصابة في القول، وكان رجلاً سكتياً، طويل التفكير، عميق النظر لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد يبزق ولا يتحنح، ولا يبول ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد.

وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان، ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي⁵.

5- مهنته:

وقد اختلف في صناعته على ثلاثة أقوال:

"أحدها: أنه كان خياطاً، قاله سعيد بن المسيب⁶.

والثاني: راعياً⁷.

والثالث: نجّاراً، قاله خالد الربيعي⁸.

1 - المرجع السابق: ج6، ص334.
2 - النوبة: تطلق على الجزء الجنوبي من بلاد مصر، وهي جبل من السودان واحداً نوبي وبلاد النوبة من ذلك الجبل.
3 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص334.
4 - المرجع السابق: ج6، ص334.
5 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص335.
6 - سعيد بن المسيب بن حزن، أبو محمد القرشي المخزومي، الإمام العلم، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد سنة 13هـ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاء، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سُمي راوية عمر، توفي بالمدينة سنة 94هـ. (الأعلام للزركلي، ج3، ص102).
7 - ذكره الطبري في تفسيره جامع البيان، ج20، ص135.
8 - هو خالد بن سمير أبو الجوزاء الربيعي (لم أجد من ترجمته إلا ما وقفت عليه في الطبقات الكبرى لابن سعد، ج7، ص223).
9 - التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، ج4، ص248، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.

الفرع الثالث: سيدنا لقمان بين النبوة والحكمة

وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي¹، وعكرمة²، هكذا حكاه عنهم الواحدي³، ولا يعرف، إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة والقول الأول أصح⁴.

كما اختلف السلف في لقمان: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين: فقال جمهور أهل التأويل: أنه كان ولياً ولم يكن نبياً.

وقال عكرمة والشعبي بنبوته.

والصواب: أنه كان رجلاً حكيماً بحكمة الله ﷻ - وهي الصواب في المعتقدات، والفقهاء في الدين والعقل - قاضياً في بني إسرائيل قاله ابن عباس وغيره⁵.

وتفصيل تلکم الأقوال على النحو الآتي:

"عن ابن عمر رضي الله عنهما عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه فمن الله عليه بالحكمة، وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق، فقال: رب إن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء، وإن عزمت علي فسمعاً وطاعة فإنك ستعصمني"⁶.

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما عنهما قوله: لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود، فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته⁷.

وأخرج ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا الْحِكْمَةَ﴾ أي: الفقه في الإسلام، قال قتادة: ولم يكن نبياً ولم يوح إليه⁸ وعن مجاهد أنه قال: كان لقمان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً⁹.

1 - عامر بن شريحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، ولد سنة 19هـ، ونشا بالكوفة، وهو من رجال الحديث الثقات، كان فقيهاً وشاعراً، مات سنة 103هـ. (الأعلام للزركلي، ج3، ص251).

2 - أبو عبد الله، عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، ولد سنة 25هـ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعي، مات بالمدينة سنة 105هـ. (الأعلام للزركلي، ج4، ص244).

3 - علي بن أحمد بن علي بن مؤتوية، أبو الحسن الواحدي، أصله من ساوة - بين الرّي وهمذان - مفسر وعالم بالأدب، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل، من كتبه: البسيط، والوسيط، والوجيز، وكلها في التفسير، وكذا أسباب النزول، ولید بنيسابور، وتوفي بها سنة 468هـ. (الأعلام للزركلي، ج4، ص255).

4 - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ج3، ص430.

5 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص60.

6 - المرجع السابق، ج14، ص60.

7 - الكشف، الزمخشري، ج3، ص493.

8 - جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، ج20، ص134.

9 - المرجع نفسه، ج20، ص134.

وروى ابن كثير عن قتادة أنه قال: "خير الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة، فاختر الحكمة على النبوة فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذرَّ عليه الحكمة فأصبح وهو ينطق بها". قال سعيد: سمعت قتادة يقول: "قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: أنه لو أرسل إليَّ بالنبوة عزمه لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكن خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي".¹

وأخرج ابن كثير في تفسيره كذلك: "... فَهَذِهِ الْأَثَارُ مِنْهَا مَا هُوَ مُصَرَّحٌ فِيهِ بِنَفْيِ كَوْنِهِ نَبِيًّا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُشْعِرٌ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ عَبْدًا قَدْ مَسَّهُ الرَّقُّ يُنَافِي كَوْنَهُ نَبِيًّا؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا؛ وَلِهَذَا كَانَ جُمْهُورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا يُنْقَلُ كَوْنُهُ نَبِيًّا عَنْ عِكْرَمَةَ -إِنْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.²

وكما ذكرت سابقا أنّ المشهور عن جمهور السلف أنه كان رجلا حكيما ولم يكن نبيا وهو قول الأكثرين.³ وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى والله أعلم.

الفرع الرابع: بعض من حكم لقمان

وقد نقل العلماء في تفاسيرهم كثيرا من حكم لقمان هذا بعض منها:

والبداية مع ما أخرجه صاحب التحرير والتنوير في آخر تفسيره لآيات وصايا:

"قَوْلُهُ لِابْنِهِ: أَيُّ بُنْيَ، إِنْ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، وَقَدْ غَرِقَ فِيهَا أَنْاسٌ كَثِيرٌ فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَحَشَوَهَا الْإِيمَانَ، وَشِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُو وَلَا أَرَاكَ نَاجِيًّا.

وَقَوْلُهُ: مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عِظٌ حَافِظٌ، وَمَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عِزًّا، وَالذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنَ التَّعَزُّزِ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَقَوْلُهُ: ضَرْبُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ كَالسَّمَادِ لِلزَّرْعِ.

وَقَوْلُهُ: يَا بُنْيَ إِيَّاكَ وَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ ذُلُّ النَّهَارِ وَهَمُّ اللَّيْلِ.

وَقَوْلُهُ: يَا بُنْيَ ارْجُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءً لَا يَجْرِيكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى، وَخَفِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَوْفًا لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ.

1 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص334.

2 - المرجع نفسه، ج6، ص334.

3 - المرجع نفسه، ج6، ص334. وكذلك في: الكشاف، الزمخشري، ج3، ص493.

وَقَوْلُهُ: مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ مَاءٌ وَجْهَهُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ، وَنَقْلُ الصُّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَيْسَرُ مِنْ إِفْهَامِ مَنْ لَا يَفْهَمُ.

وَقَوْلُهُ: يَا بَنِيَّ حَمَلْتُ الْجَنْدَلَ وَالْحَدِيدَ وَكُلَّ شَيْءٍ ثَقِيلٍ فَلَمْ أَحْمِلْ شَيْئًا هُوَ أَثْقَلُ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَذُقْتُ الْمَرَارَ فَلَمْ أَدُقْ شَيْئًا هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ.

يَا بَنِيَّ لَا تُرْسِلْ رَسُولَكَ جَاهِلًا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ.

يَا بَنِيَّ، إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ شَهِيٌّ كَأَحْمِ الْعُصْفُورِ عَمَّا قَلِيلٍ يُغْلَى صَاحِبُهُ.

يَا بَنِيَّ، احْضُرِ الْجَنَائِزَ وَلَا تَحْضُرِ الْعُرْسَ فَإِنَّ الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكَ الْآخِرَةَ وَالْعُرْسَ يُشْهِئُكَ الدُّنْيَا.

يَا بَنِيَّ، لَا تَأْكُلْ شِبَعًا عَلَى شِبَعٍ فَإِنَّ الْإِقَاءَ إِيَّاهُ لِلْكَأْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ.

يَا بَنِيَّ، لَا تَكُنْ حُلُومًا فَتُبْلَعُ وَلَا تَكُنْ مَرًّا فَتُلْفَظُ.

وَقَوْلُهُ لِابْنِهِ: لَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا الْأَتْقِيَاءُ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الْعُلَمَاءَ.

وَقَوْلُهُ: لَا خَيْرَ لَكَ فِي أَنْ تَتَعَلَّمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ وَلَمَّا تَعْمَلْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطْبًا فَحَمَلَ حُزْمَةً وَذَهَبَ يَحْمِلُهَا فَعَجَزَ عَنْهَا فَضَمَّ إِلَيْهَا أُخْرَى.

وَقَوْلُهُ: يَا بَنِيَّ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُوَاخِيَ رَجُلًا فَأَعْضِبْهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنْ أَنْصَفَكَ عِنْدَ غَضَبِهِ وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ.

وَقَوْلُهُ: لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، وَلِيَكُنْ وَجْهُكَ بَسِطًا تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ.

وَقَوْلُهُ: يَا بَنِيَّ، أَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ صَاحِبِكَ مُنْزَلَةً مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ بِكَ وَلَا بَدَّ لَكَ مِنْهُ.

يَا بَنِيَّ، كُنْ كَمَنْ لَا يَبْتَغِي مَحَمَدَةَ النَّاسِ وَلَا يَكْسِبُ ذَمَّهُمْ فَنَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَقَوْلُهُ: يَا بَنِيَّ، امْتَنِعْ بِمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيكَ فَإِنَّكَ مَا سَكَتَ سَالِمٌ، وَإِنَّمَا يَبْتَغِي لَكَ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَنْفَعُكَ¹.

وَ هَذِهِ مِنَ الْحُكْمِ الَّتِي وَقَفْتَ عَلَيْهَا وَقَدْ أَخْرَجَهَا الْأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَيْضًا.²

وَفِي «الْكَشَافِ»: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ: إِنْ كُنْتَ تَرَانِي غَلِيظَ الشَّفَقَتَيْنِ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ رَفِيقٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَانِي أَسْوَدَ قَلْبِي أَبْيَضُ. وَأَنَّ مَوْلَاهُ أَمَرَهُ بِدَبْحِ شَاةٍ وَأَنَّ يَأْتِيَهُ بِأَطْيَبِ مُضْغَعَتَيْنِ فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِدَبْحِ أُخْرَى وَأَنَّ أَلْقَى مِنْهَا أَخْبَثَ مُضْغَعَتَيْنِ، فَأَلْقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: هُمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا إِذَا طَابَا

1 - التحرير والتلوين، ابن عاشور، ج21، ص169 - 170.

2 - روح المعاني، الألويسي، ج11، ص83.

وَأَخْبَتُ مَا فِيهَا إِذَا خَبْتُنَا... وَدَخَلَ عَلَى دَاوُدَ وَهُوَ يَسْرُدُ الدَّرُوعَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّاذَا يَصْنَعُ، فَأَدْرَكْتُهُ الْحِكْمَةَ فَسَكَتَ، فَلَمَّا أَنْمَهَا دَاوُدُ لَيْسَهَا وَقَالَ: نَعَمْ لَبُوسُ الْحَرْبِ أَنْتِ. فَقَالَ لُقْمَانُ: الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.¹

وَفِي «تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةَ»: قِيلَ لِلْقَمَانِ: أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: الَّذِي لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ سَيِّئًا أَوْ مُسِيئًا.²

وَفِي «تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ»: كَانَ لُقْمَانُ يُفْتِي قَبْلَ مَبْعَثِ دَاوُدَ فَلَمَّا بُعِثَ دَاوُدُ قَطَعَ الْفُتُوى. فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَلَا أَكْتَفِي إِذَا كُنَيْتُ. وَفِيهِ: إِنَّ الْحَاكِمَ بِأَشَدِّ الْمَنَازِلِ وَكَدَرِهَا يَغْشَاهُ الْمَظْلُومُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إِنْ يُصِيبُ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَنْجُوَ وَإِنْ أَخْطَأَ أَخْطَأَ. طَرِيقَ الْجَنَّةِ. وَمَنْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا دَلِيلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا. وَمَنْ يَخْتَرِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ تَقْتَنُهُ الدُّنْيَا وَلَا يُصِيبُ الْآخِرَةَ.³

وَفِي «تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ»: أَنَّ دَاوُدَ سَأَلَ لُقْمَانَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ فِي يَدِي غَيْرِي.⁴

المطلب الثاني: التعريف بالحكمة

جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾ [سورة البقرة، ٢٦٩]. وقد عرض الله ﷻ علينا في قصة لقمان نموذجاً لإنسان آتاه الله الحكمة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة لقمان، ١٢]. فمن عرف هذه المعاني التي جاءت هنا، وتحقق بها، وألزم نفسه النصيحة بها لأولاده وللعامّة فإنّه حكيم، وإذن فقد أعطانا الله ﷻ بهذه الآيات ميزاناً نزن به حكمة الحكماء، ونتعرّف بذلك على من وُفِّقه الله تعالى فاتاه الحكمة.⁵

من هنا تتجلى أهمّية الحكمة، فهي أعلى شيء يمكن أن يمنحه الله للإنسان بعد الإيمان والتحلّي بكمال الأخلاق، وهي أمل كل الناجحين، وقيل: أنّها ضالّة المؤمن أنا وجدها فهو أولى بها، وعليه فالحكمة موضوع قائم بذاته عند استقراء ما كتبه المفسّرون في تفاسيرهم المختلفة لآيات وصايا لقمان، بين مطوّل ومختصر، غير أنّنا في هذا البحث سنعرّج على هذا الموضوع، على النحو الآتي:

1 - الكشف، الزمخشري، ج4، ص493.

2 - المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص347، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422هـ.

3 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص60.

4 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج4، ص213.

5 - الأساس سعيد حوى، ج8، ص4327.

الفرع الأول: معنى الحكمة لغة واصطلاحاً:

1- الحكمة لغة:

الحكمة: ما أحاط بحنكي الفرس، سُميت بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتُدلّ الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجِماح¹، ومنه اشتقاق الحكمة، لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل.

وأحكَم الأمر: أي أتقنه فاستحكَم، ومنعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عمّا يريد².

2- الحكمة اصطلاحاً:

قال صاحب كتاب مدارج السالكين: (الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي)³.

وقد ذكرت للحكمة تعريفات عديدة تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى. وأهم هذه التعريفات:

أ- عند المفسرين:

الحكمة: الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول من غير نبوة، وبهذا قال مجاهد⁴.

ب- عند المحدثين:

يقول صاحب الفتح: "واختلف في المراد بالحكمة فقيل: الإصابة في القول. وقيل: الفهم عن الله، وقيل ما يشهد العقل بصحته، وقيل نور يفرق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب بالصواب. وقيل: غير ذلك"⁵، ثم نقل عن الإمام النووي قوله: في الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها: أنّ (الحكمة، عبارة عن العلم المتّصف بالأحكام، المشتغل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بِنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصدّ عن اتّباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك)⁶.

وجملة القول: أنّ الحكمة عمودها العقل، وجوهرها العلم والمعرفة، ومظهرها

1 - من جمح الفرس: إذا ذهب يجري جريا غالبا واعتز فارسه وغلبه. لسان العرب، ج2، ص246.

2 - لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص143.

3 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، المحقق: محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: 3، 1416 هـ - 1996م، عدد الأجزاء: 2، ج2، ص449.

4 - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج20، ص134.

5 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص126، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

6 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج2، ص33، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات).

الصّواب في القول والعمل، وهي منّة من الله وفضل، قال صاحب الإحياء: (الحكمة فضيلة القوّة العقليّة، وهي التي بها تتلقّى حقائق العلوم الكليّة الضّروريّة والنّظريّة من المأ الأعلى، وهي العلوم اليقينيّة أزلا وأبداً)، وفي موضع آخر: (أمّا الحكمة فيندرج تحت فضيلتها حسن التّدبير، وجودة الذّهن، وثقابة الرّأي وصواب الظنّ). وعند الحديث عن ثمرتها يقول: (وثمرتها أن يتيسّر لها الفرق بين الحقّ والباطل في الاعتقادات، وبين الصّدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال).¹

الفرع الثاني: ماجاء حول الحكمة

1- في القرآن الكريم

ذكر أهل التّفسير أنّ الحكمة في القرآن على سنّة أوجه:

ولقد اعتمدت اختيار معاني هذه الأوجه، على ما اختاره أكثر من 31 باحثاً ودكتوراً من المختصّين، ضمن أضخم مرجع في الأخلاق الإسلاميّة، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، تحت اسم: نضرة النّعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم - صلّى الله عليه وسلّم، حيث تُطلق الحكمة على معاني عدّة، منها:

أ- الحكمة بمعنى السنّة، وبيان الشريعة:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151].

ب- الحكمة بمعنى النبوة:

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251].

وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ﴾ [ص: 20].

1- ميزان العمل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، ص67،99،107، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1964 هـ، عدد الأجزاء: 1.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [الزخرف: 63].

ت- الحِكْمَة بمعنى الفِقه:

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

ث- الحِكْمَة بمعنى الفهم، وَحُجَّة العِقل وفقاً للشريعة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

ج- الحِكْمَة بمعنى العِظة:

قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِالْعِزَّةِ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾ [القمر: 5].

ح- الحِكْمَة بمعنى القرآن أو آياته الكريمة، وقيل التلطف واللين دون مخاشنة وتعنيف:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

2- في السُّنَّة النَّبَوِيَّة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها)¹.

قال النووي: (ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها، معناه: يعمل بها ويعلمها احتساباً، والحكمة: كل ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح)².

1 - صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة، ج9، ص92، ح: 7141. / صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره فعمل بها وعلمها، ج1، ص559، ح: 816.
2 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج6، ص98.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمّني رسول الله ﷺ، وقال: (اللهم علمه الحِكْمَةَ)¹.

قال صاحب الفتح: (اختلف الشُّرَّاح في المراد بالحِكْمَةَ هنا، فقيل: القرآن، كما تقدم، وقيل: العمل به، وقيل: السُّنَّة، وقيل: الإصَابَةُ في القول، وقيل: الخشِية، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يُفَرِّق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصَابَةُ. وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التَّفْسِير في تفسير قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ، والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس: الفهم في القرآن)².

3- في أقوال السلف وأهل العلم

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن، أن يكون باكيًا محزونًا حكيمًا حليماً سكيناً)³.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كونوا ربانيين حكماء فقهاء)⁴.

وعن عكرمة، قال: (قال عيسى ابن مريم عليه السلام: لا تطرح اللؤلؤ إلى الخنزير، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً، ولا تعط الحِكْمَةَ من لا يريدّها، فإن الحِكْمَةَ خيرٌ من اللؤلؤ، ومن لم يردّها شرٌّ من الخنزير)⁵.

4- في فوائدها:

هذه بعض الفوائد التي انتقيتها من موقع - الدرر السنّية -⁶

أ- من فوائد الحِكْمَةَ، أنها طريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، موصلة إليه، مقربة منه، وحينها ينقطع العبد عن سواه، ولا يطمع في غيره.
ب- أنها سِمة من سمات الأنبياء والصّالحين، وعلامة للعلماء العاملين، ومزيّة للدعاة المصلحين.

ت- من أهمّ فوائد الحِكْمَةَ، الإصَابَةُ في القول والسّداد والعمل.

ث- أنها ترفع الإنسان درجات وتشرّفه، وتزيد من مكانته بين النَّاس.

1 - صحيح البخاري، بابُ قوله: {اللهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: 2]، -كتابُ الاغْتِصَام بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ج9، ص91، ح: 7270. وفيه (الكتاب) بدل (الحكمة)، وأخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (3824) واللفظ له، وعند أحمد (1/ 214، 264، 314، 328) وفيه: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وأصله في الصحيحين، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

2 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج7، ص170.

3 - رواه ابن أبي شيبة رقم: 325584، وأحمد في (الزهد) رقم: 133، وأبو نعيم في (الحلية) ج1، ص129، موقفاً على أبي مسعود رضي الله عنه.

4 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج1، ص192.

5 - رواه البيهقي في (المدخل إلى السنن الكبرى)، ص356، وابن عبد البرّ في (جامع بيان العلم وفضله)، ج1، ص450.

6 - موقع: www.dorar.net صفحة - موسوعة الأخلاق - ت: 2015/05/17، سا: 15:04.

ج- فيها دلالة على كمال عقل صاحبها وعلو شأنه، وهذا يجعله قريباً من الناس، حبيباً لقلوبهم، ومهوى أفئدتهم، يقول فيسمعون، ويأمر فيطيعون؛ لأنهم يدركون أن رأيه نعم الرأي، ومشورته خير مشورة.

ح- أنها تدعو صاحبها للعمل على وفق الشرع، فيصيب في القول والفعل والتفكير، ويسير على هدى وبصيرة. قال أبو القاسم الجنيد بن محمد، وقد سئل: بم تأمر الحكمة؟ قال: (تأمر الحكمة بكل ما يُحمد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره).

خ- تعطي العبد نفاذاً في البصيرة، وتهذيباً للنفس، وتزكية للروح، ونقاءً للقلب.

د- تكسو العبد بثوب الوقار، وتحليه بحلية الهيبة، وتخلع عليه ثياب البهاء والإجلال.

ذ- يكون صاحبها كالغيث حيثما حلّ نفع، وأينما وُضع أفاد، فيتعلم منه الكبير والصغير، ويكون مصدر خير بإذن الله.

ر- تحفظ الإنسان عن ارتكاب السوء أو التلّظ به، أو ارتكاب المحذورات، أو التجني على الغير، أو عمل ما يضطره للاعتذار وطلب العفو.

5- في أنواعها ودرجاتها وأركانها: ¹

الحكمة نوعان:

النوع الأول: حكمة علمية نظرية، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

النوع الثاني: حكمة عملية، وهي وضع الشيء في موضعه.

درجات الحكمة:

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه ولا تعدّيه حدّه، ولا تعجّله عن وقته، ولا تؤخّره عنه.

الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه. وتلحظ برّه في منعه.

الدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة. وفي إشارتك الغاية.

1 - مدارج السالكين، ابن القيم، ج2، ص/448/452/478، (بتصرف).

فتصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم. وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء.

أركانها: ولها ثلاثة أركان:

العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها وأضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة.

فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول.

المطلب الثالث: التعريف بالشكر

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

إن نظرة أولية في الآية القرآنية تفصح عن أنه تعالى امتن على لقمان بالحكمة ورجاحة العقل وإصابة الحق، وكان مقتضى هذه النعمة الشكر للممتن بها ابتداء واختصاصه بالحمد، وأن في هذا خيراً يعود على صاحبه، لا ينتفع به أحد سواه، ضرورة أن الله غني حميد.

وفي الآية توجيه إلى قيمة عليا، وفضيلة أسمى، وهي الشكر، بدأ بالشكر لله ثم للآخرين، فالأول اعتراف لما ينبغي أن يقوم بين العبد وربّه من صلة تتمثل في شكر العبد المتّصف بالديمومة، ثم ما بين البشر إسهاماً في ما تقوم به حياتهم على أسس من المودة والتّراحم والاعتراف بالجميل، وأسوتنا في غرس هذه الفضيلة رسولنا محمّد صلى الله عليه وسلّم الذي كان يقوم الليل حتّى تنفطر قدماه، فنقول له عائشة: (لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً).¹

وعليه فإنّ الموضوع الذي نوّد الحديث عنه ههنا هو موضوع: (الشكر).

الفرع الأول: الشكر في اللغة والاصطلاح:

1- الشكر لغة:

مصدر شكر يشكر، وهو مأخوذ من مادة (ش ك ر) التي تدلّ على «الثناء على الإنسان بمعروف يوليّه». ويقال: إنّ حقيقة الشكر الرضا باليسير، ومن ذلك فرس شكور إذا كفاه لسمنه العلف القليل.²

1 - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ليغفر لك الله، ج6، ص135، ح: 4837.
2 - معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس أبو الحسن الرازي، المتوفى 395هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر، 1399هـ، 1979م، عدد الأجزاء6، ج3، ص207. وقد ذكر لهذه المادة ثلاثة معانٍ آخر هي الامتلاء ونوع من النبات والنكاح. انظر هذه المعاني وأمثلتها في (ص208) من المرجع نفسه.

2- الشكر اصطلاحاً:

قال الكفوي¹: الشكر كل ما هو جزاء للنعمة عرفاً، وقال أيضاً: أصل الشكر: تصور النعمة وإظهارها، والشكر من العبد: عرفان الإحسان، ومن الله المجازاة والثناء الجميل².

وقال المناوي³: الشكر: شكران: الأول شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً⁴.

وقال صاحب المدارج: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة⁵.

✓ ملاحظة:

عند الحديث عن الشكر يتبادر إلى الأذهان سؤال وجب الإجابة عليه مفاده:

ما الفرق يا ترى بين الشكر والحمد؟ وللإجابة على ذلك أقول:

الشكر كالحمد في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أن الحمد يكون باللسان وبالقلب، بخلاف الشكر فإنه يقع بالجوارح. والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر بخلافها في الحمد.

ويختص الشكر بالله تعالى، بخلاف الحمد⁶.

الفرع الثاني: الآيات الواردة في الشكر:

1- يكون فيها لفظاً أو معنى:

لقد استقصى العلماء قرابة احدى عشرة آية تتضمن الشكر لفظاً أو معنى وهي محصاة كالآتي:

[سورة البقرة، ١٥١- ١٥٨]. [سورة البقرة، ١٧٢-١٧٣]. [سورة الأعراف، ١٤٣- ١٤٤]. [سورة النحل، ١١٢-١١٤]. [سورة الأنبياء، ٧٨-٨٠]. [سورة العنكبوت، ١٦- ١٧].

1 - أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء، صاحب كتاب: الكليات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في كفه بتركيا، وبالقدس وببغداد، وعاد إلى إسطنبول، وتوفي بها سنة 1094 هـ، له كتب أخرى بالتركية. (الأعلام للزركلي، ج2، ص38).

2 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: 1، ج1، ص523.

3 - محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، ولد سنة 952هـ، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قلل الطعام كثير الشهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستلم منه تأليفه، له نحو ثمانين مصنفاً، منها الكبير والصغير والتمام والناقص، من كتبه: "كنوز الحقائق" في الحديث، عاش في القاهرة وتوفي بها سنة 1031هـ. (الأعلام للزركلي، ج6، ص204).

4 - التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1990م، ج1، ص206-207.

5 - مدارج السالكين، ابن القيم، ج2، ص244.

6 - الكليات، الكفوي، ج1، ص535.

[١٧]. [سورة يس، ٣١-٣٥]. [سورة يس، ٧١-٧٣]. [سورة الزمر، ٧]. [سورة الزمر، ٦٥-٦٦]. [سورة الواقعة، ٦٨-٧٤].

وهذه بعض النماذج من الآيات السالفة الذكر للعبرة والتدبر:

أ- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة البقرة، ١٧٢-١٧٣].

ب- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة يس، ٧١-٧٣].

ت- قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزمر، ٧].

ث- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الزمر، ٦٥-٦٦].

وبالرجوع إلى كتب التفسير وأقوال العلماء والمصنِّفين وبعمليَّة استقرائية، استقصائية يمكن أن نصنّف باقي آيات الشكر الواردة في القرآن الكريم حسب المواضيع التي استنبطها هؤلاء العلماء كالآتي:

2- يكون فيها رجاء اقتضاء أمر:

مع الاقتصار على بعض النماذج منها:

أ- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ

أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [سورة البقرة, ١٨٥].

ب- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمُ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران, ١٢٣].

ت- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم, ٣٧].

ث- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة النحل, ١٤].

ج- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة النحل, ٧٨].

3- يكون فيها منبع التفكير في آيات الكون:

وهذه أمثلة مختارة من آيات الذكر الحكيم تتضمن هذا المعنى:

أ- قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَلْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة الأنعام, ٦٣-٦٤].

ب- قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة الفرقان, ٦١-٦٢].

ت- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة لقمان, ٣١].

ث- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا^ط وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي^ط إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأحقاف, ١٥-١٦].

4- يكون فيها ثمرة للشاكر نفسه:

المتدبر في الآيات الآتية يقف على موضوع الشكر فيه ثمرة للشاكر نفسه وهذه نماذج عنها:

أ- قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ^ط وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ^ط وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النمل, ٤٠].

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ^ط وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَكَ تَشْرِكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة لقمان, ١٢-١٤].

لم يقتصر موضوع الشكر على الآيات الواردة في كتاب الله بل ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من الآثار والأحاديث في ذلك وهذه بعض منها:

الفرع الثالث: الأحاديث الواردة في الشكر

- 1- * (عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إنني لأحبك والله إنني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ! لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك») *¹.
- 2- * (عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول ﷺ : «إنَّ للطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ») *².
- 3- * (عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال الرَّسُولُ ﷺ : «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطَّريق، فأخَّره، فشكر الله له، فغفر له»³.
- 4- * (عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنه - قال: قال الرَّسُولُ ﷺ : «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكن فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا») *⁴.
- 5- * (عن صهيب الرُّومي- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر. فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيرا له») *⁵.
- 6- * (عن جابر- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «من أعطي عطاء فوجد فليجز به⁶، فإن لم يجد فليئن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره») *⁷.

1 - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر المكتبة العصرية، صيدا بيروت، عدد الأجزاء: 4، باب تفریع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، ج2، ص84، ح: 1522. واللفظ له. وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: صحيح، ج2، ص1320، ح: 7969.

2 - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، عدد الأجزاء: 5 أجزاء، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج4، ص653، ح: 2486، واللفظ له وقال: حسن غريب. واللفظ له. وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: صحيح، ج1، ص435، ح: 2179.

3 - صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، ج1، ص132، ح: 652 / صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، ج3، ص1521، ح: 1914.

4 - الترمذي (2512) واللفظ له وقال: حسن غريب وبعضه في مسلم من حديث أبي هريرة (2963). وابن ماجه (4142). والحديث في المشكاة (3/ 1446) برقم (5256) وعزاه إلى الترمذي.

5 - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج4، ص2295، ح: 2999..

6 - فليجز به: أي يكافأ من أعطاه.

7 - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج4، ص255، ح: 4813، واللفظ له، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: حسن، ج2، ص1046، ح: 6056.

7- * (عن أبي هريرة- ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس») *¹ .

8- * (عن أبي هريرة- ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : «يقول الله - ﷻ - يوم القيامة: يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع² وترأس³ ، فأين شكر ذلك؟») *⁴ .

الفرع الرابع: من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (الشكر)

1- * (كان أبو بكر- ﷺ - يقول في دعائه: «أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم») *⁵ .

2- * (قال عمر بن الخطاب- ﷺ - : «ما ابتليت ببلاء إلا كان الله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضا به، وإذا أرجو الثواب عليه») *⁶ .

3- * (قال علي بن أبي طالب- ﷺ - : «إنّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد») *⁷ .

4- * (قالت عائشة- رضي الله عنها - : «ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج الأذى إلاّ وجب عليه الشكر») *⁸ .

5- * (قال الحسن البصري⁹ - رحمه الله تعالى - : «الخير الذي لا شرّ فيه: العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر») *¹⁰ .

1 - سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج4، ص255، ح: 4811 واللفظ له. وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: صحيح، ج2، ص1122، ح: 6601 .

2 - تربيع: تأخذ ربع غنيمة القوم.

3 - ترأس: تكون رئيساً للقوم.

4 - صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفق، ج4، ص2279، ح2968.

5 - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين بن قِيم الجوزية، المتوفى: 751هـ، الناشر دار بن كثير، دمشق - بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1409هـ - 1989م، عدد الأجزاء 1، ص133.

6 - مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين ابو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن قدامة المقدسي، المتوفى: 689هـ، قدم له: محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: 1398هـ - 1978م، عدد الأجزاء1، ص 292- 293 .

7 - عدة الصابرين، ابن القيم، ص 123 .

8 - المرجع نفسه، ص144.

9 - سبق ترجمته.

10 - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفى: 505هـ، الناشر: دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء4، ج4، ص134.

6- * (وقال أيضا: «إنَّ الله ليمتّع بالنّعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا، ولهذا كانوا يسمّون الشّكر: الحافظ، لأنّه يحفظ النّعم الموجودة: والجالب، لأنّه يجلب النّعم المفقودة») *¹.

7- * (قال الشعبي- رحمه الله ﷺ -: «الشّكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّهُ») *².
وإنّي قد أوردتّ هذه الآثار عن السّلف، لدقّة فهمهم وصحيح معتقدتهم، لذا نلحظ هذا الكم الهائل من المعاني، والإشارات البديعة حول موضوع الشّكر، من هنا وجب نقلها واتحاف ببحثنا بها.

المطلب الرَّابع: الجانب العقدي في الوصايا.

الفرع الأول: أهميّة التوحيد في حياة المسلم

إنّ أعظم مسائل الدّين - على الإطلاق - هي عقيدة التّوحيد وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، فمن أجلها خلق الخلق وأنزل الكتب والرّسل وجعلت الجنّة والنّار قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات، ٥٦]

فالعقيدة التّوحيد لا بدّ أن تنعكس على الإنسان وسلوكه، فإذا آمن إيماناً يقينياً بالله وبعلمه ومراقبته الدّائمة لعبده كان هذا الإيمان مُحدّداً لسلوك المسلم. ف (الإيمان بالله هو الموجّه للسلوك والضّابط له والمتّصل اتصالاً وثيقاً بالأعمال الصّادرة عن الإنسان. فإنّ التّربية الإسلامية تربط دائماً بين العمل والسلوك ثم بين العمل الصّادر من هذا الإيمان وبين الجزاء قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الكهف، ١٠٧] ³.

فالعقيدة الصّحيحة هي منبع الأعمال الصّالحة والأخلاق الكريمة والفضائل الحسنة. يقول الله ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر، ١-٣]

1 - عدة الصابرين، ابن القيم، ص122.

2 - المرجع نفسه، ص124.

3 - معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، بحث أكاديمي، إعداد: د. عبد الرحمن بن محمد عبد المحسن الأنصاري

أستاذ مساعد بقسم التربية، بكلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والرَّسُول ﷺ يقول : (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)¹. ويقول ﷺ في سلوك المسلم نحو جاره ونحو نفسه: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره)². كما يتحدّث عن أثر الإيمان في تجنّب الرذائل وارتباط الإيمان بالسلوك ساعة وقوع العمل كما جاء في الحديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)³.

من كل ما سبق يتقرّر أنه لا سعادة للنفس الإنسانية ولا استقامة لها إلا إذا ارتبطت كافة جوانبها بعقيدة التوحيد، ومن هنا (يجب على المرّبي المسلم أن يربط كل جوانب التربية بهذا الأصل الاعتقادي لما له من أهمّية كبرى في حياة الإنسان النفسية وتوحّد نوازعه وتفكيره وأهدافه. وتجعل كل عواطفه وسلوكه وعاداته قوى متضافرة متعاونة ترمي كلّها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده)⁴.

لذلك كلّه نرى (أنّ أول ما أراد أن يؤسّسه لقمان في حياة ابنه هو التوحيد، لأنّه أصل ثابت يحميه من عوامل الضعف والقلق النفسي، ويربّي فيه عوامل الطمأنينة والاستقرار والشّعور الإيجابي الفاعل في الحياة بكل عزّة وإباء. ضرورة أنّ التوحيد هو إفراد الله تعالى بالألوهية والرّبوبية والحاكمية والعبودية. فلا يكون عبداً إلا لله عقيدة ومنهجاً ونظام حياة)⁵.

الفرع الثاني: التحذير من الشّرك

لقد اختار لقمان الحكيم أن يكون النهي عن الشّرك هو الوصيّة الأولى لابنه. لأنّ التوحيد هو أعظم قضية وأخطرها، فهو عقيدة الرّسل جميعاً ورسالتهم إلى أقوامهم، فما من رسول إلا وأمر قومه بالتوحيد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا

نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [سورة الأنبياء، ٢٥]

1- التعريف بالشّرك

أ- الشّرك لغة:

الشّرك اسم من قولهم: أشرك به يشرك إشراكاً، وهو مأخوذ من مادّة (ش ر ك) التي تدلّ على مقارنة وخلاف انفراد⁶

1 - أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، ج3، ص135 . والحديث صححه الالباني رحمه الله في صحيح الجامع، ج2، ص1205، برقم: 7179.

2 - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء، ج7، ص26، ح: 5185.

3 - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الزنا وشرب الخمر، ج8، ص157، ح: 6772.

4 - عبد الرحمن بن محمد عبد المحسن الأنصاري، مرجع سابق.

5 - الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، مصطفى إبراهيم المشي، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 7، العدد2، جمادى الآخرة 1431هـ، يونيو2010م، ص11.

6 - مقاييس اللغة لابن فارس، ج3، ص252.

ب- الشُّرك اصطلاحاً:

الشُّرك إمَّا أكبر، وهو إثبات الشُّريك لله تعالى، أو أصغر وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور¹.

فالمشرك يجعل المخلوق في منزلة الخالق، يعبدُه ويتألَّهه فهو قد وضع الأشياء في غير مواضعها، وهذا أعظم الظلم، وهو الَّذي جاء فيه الوعيد الشَّدِيد، قال ﷺ: (الظلم ظلمات يوم القيامة)².

والشُّرك ضربان: شرك أكبر وشرك أصغر، والشُّرك الأكبر كأن يتَّخذ الإنسان مع الله إلهاً آخر، وهو أعظم الشُّرك، وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء، ١١٦].

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة، ٧٢].

فالمتمائل في هاتين الآيتين يجد أن الإشراف بالله يقود صاحبه إلى الغواية، فيحرِّم عليه الجنة ونعيمها، ويدخل في فريق الظالمين لأنفسهم الذين افتقدوا النَّصرة والتأييد.

أما الشرك الأصغر فالمقصود به الرياء وهو مناف للإخلاص لله في القول والعمل، وقد دعت الشريعة إلى تركه في كثير من الأدلَّة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف، ١٠٦].

فالنهي عن الشرك يتضمن الدعوة إلى التوحيد، ولن تتحقق العِزَّة والكرامة للمؤمن إلا بعبوديته لله وحده. وهذا ما أدركه لقمان وحرص على أن يغرسه في نفس ابنه لكي لا يظلم نفسه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة لقمان، ١٣]. فهو ظلم لأنَّه يحرم صاحبه من الأمن والهدى،

1 - التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ص203.
2 - صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج3، ص129، ح: 2447. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص1996، ح: 2579.

ويقرّر هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام، ٨٢] .

وحين نزلت هذه الآية شقّ على الصحابة ذلك لأنهم فهموا أنّ " ظلم " يراد بها عموم أنواع المعاصي فقالوا: يا رسول الله أينّا لم يظلم نفسه؟ فقال: (ليس كما تقولون، أولم تسمعوا إلى قول لقمان...) فذكر الآية¹. يقول الألوسي في تفسيره: (وكون الشّرك ظلماً لما فيه من وضع الشّيء في غير موضعه وكونه عظيماً لما فيه من التّسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه ومن لا نعمة له)².

2- من مظاهر الشّرك:³

للشّرك سواء أكان من المشركين أهل الجاهليّة الأولى، أو ممّن ينتسبون إلى أهل الكتاب من اليهود أو النّصارى، أو المبتدعة ممّن ينتسبون إلى الإسلام- وهو منهم ومن شركهم براء- صور عديدة كشف عنها علماء الإسلام محدّرين النّاس منها، خاصّة أنّ بعض هذه المظاهر قد شاعت في بعض البلدان الإسلاميّة، نذكر من ذلك:

- الاستغاثة والتّوسّل بغير الله تعالى.

- الزّيارة البدعية للمقابر.

- الدّبح لغير الله والنّدز لغيره سبحانه.

- سجود المرید للشيخ.

- الخوف من غير الله.

3- من معاني لفظ الشّرك في القرآن الكريم:

ذكر أهل التّفسير أنّ الشّرك في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يعدل بالله غيره. ومنه قوله تعالى في سورة النّساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء، ٣٦] . وفيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة

1 - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب " لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم"، ج6، ص114، ح:4776.

2 - روح المعاني، الألوسي، ج11، ص84.

3 - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: 12 (11 ومجلد للفهارس)، ج10، ص4716 - 4718.

النساء، ٤٨] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، ١١٦] ، وفي براءة: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة، ٣] ، وهو الأعم في القرآن.

والثاني: إدخال شريك في طاعته دون عبادته. ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿فَلَمَّا عَاتَبَهُمَا صَلِيحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا عَاتَبَهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأعراف، ١٩٠] ، أي: أطاعا إبليس في تسمية ولدهما.

وفي إبراهيم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم، ٢٢] . أي: في الطاعة. وفي الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيَّ أَوْلِيآئِهِمْ لِيَجْذِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام، ١٢١] .

والثالث: الرياء في الأعمال. ومنه قوله تعالى في الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، ١١٠] .¹

4- الآيات الواردة في الشرك²: أ- الشرك الأكبر:

أكتفي بنموذج واحد، والباقي من الآيات أورده على النحو الذي سيأتي.

1 - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين، ج10، ص4718 - 4719.
2 - المرجع نفسه، ج10، ص4720 - 4728.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَحِجِّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة البقرة، ٩٢-٩٦].

وهذه باقي الآيات:

- البقرة: 105 مدنية، - آل عمران: 64-67 مدنية، - آل عمران: 186 مدنية، - النساء: 36 مدنية، - النساء: 48 مدنية، - النساء: 116 مدنية، - المائدة: 72 مدنية، - الأنعام: 13-14 مكية، - الأنعام: 88 مكية، - الأنعام: 100-101 مكية، - الأنعام: 121 مكية، - الأنعام: 136-139 مكية، - الأنعام: 148-151 مكية، - الأنعام: 161-163 مكية، - الأعراف: 33 مكية، - الأعراف: 172-173 مكية، - الأعراف: 189-191 مكية، - التوبة: 17 مدنية، - التوبة: 31-33 مدنية، - يونس: 66 مكية، - يونس: 104-105 مكية، - يوسف: 36-38 مكية، يوسف: 106-108 مكية، - النحل: 1-3 مكية، - النحل: 35 مكية، - النحل: 86 مكية، - النحل: 98-100 مكية، - الكهف: 32-42 مكية، - الحج: 16-17 مدنية، - الحج: 26 مدنية، - الحج: 30-31 مدنية، - المؤمنون: 91-92 مكية، - النور: 3 مدنية، - النمل: 59-63 مكية، - القصص: 68 مكية، - العنكبوت: 8 مكية، - لقمان: 13-15 مكية، - الأحزاب: 73 مدنية، - الزمر: 29 مكية، - الزمر: 65-67 مكية، - غافر: 11-12 مكية، - غافر: 41-42 مكية، - فصلت: 6-7 مكية، - الشورى: 13 مكية، - الشورى: 21 مكية، - الفتح: 4-6 مدنية، - الطور: 43 مكية، - الحشر: 22-24 مدنية، - الصف: 9 مدنية، - الجن: 1-2 مكية، - الأنعام: 19-23 مكية.

ب-الشرك الأصغر:

تمثل في الآيات الآتية، من سرتي الكهف والروم:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، ١١٠].

قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [٣١] فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ مِّن مِّنْبِينَ إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ [سورة الروم، ٢٩- ٣٥].

5- أخطار الشرك

إنّ التقرير الذي تضمّنته الآية القرآنية ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، باعتبار الشرك ظلم ، والتصدير بحرف التوكيد "إنّ" مع دخول لام التوكيد على مضمون الخبر. ليحمل - هذا التقرير- ومن خلال قوّة مضمونه جملة من المفاهيم والحقائق التي يقتضي الأمر طرحها والبراءة منها، ومن هذه الحقائق:

- اعتبار الشرك ظلم - كما أسلفنا - لأنّه اعتداء على حقّ الله تعالى بصفات الكمال وعلى رأسها الوحدانية ، فهو المنزّه عن الشرك. يقول ابن القيم: (المشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه ندًا وذلك غاية الظلم منه، وإن كان المشرك في الواقع لم يظلم ربّه وإنّما ظلم نفسه)¹ ثم إنّ (الشرك ظلم عظيم لأنّه يساوي الخالق المدبّر الذي بيده مقاليد كل شيء ، عالم الغيب

1 - الداء والدواء: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر مجمع الفقه الإسلامي بجدّة، طبعة دار عالم الفوائد بجدّة، الطبعة الأولى 1429هـ، عدد الأجزاء 1، ج1، ص297.

والشهادة. بذلك المخلوق الضعيف الذي لا يملك حياته ولا موته ، ولا يعلم ما في آخر يومه فضلا عن غده)¹.

■ تحقير النفس الإنسانية التي رفعها الله وكرمها حين تخضع وتذل لمخلوق مثلها صنعته بيدها من حجر أو شجر، ولا يملك لها نفعا أو ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . وهو ما يخسر به من رضا ربه وما يتبع ذلك من عقاب وإذ هو سبب في تحريم الجنة على مرتكبه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [سورة المائدة, ٧٢] .

■ الشُّرك يحبط الأعمال ويذهب بثوابها ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ [سورة الأنعام, ٨٨] . وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [سورة الزمر, ٦٥]

6- أحكام الشرك:

قال الكفوي: والشرك أنواع:

- شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس.
- شرك التبعية وهو تركيبه الإله من آلهة كشرك النصارى.
- شرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية.
- شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية.
- شرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائين ومن تبعهم على ذلك.
- شرك الأغراض: وهو العمل لغير الله.

قال الكفوي: فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر

1 - المضامين المترتبة لوصايا لقمان، نوف بن ناصر التميمي، مصدر هذه الماذك، دار طيبة، الكتيبات الإسلامية، ص35.

بطبيعتها فقد حكم الإجماع على كفره ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها بطبيعتها فهو فاسق.¹

المطلب الخامس: الجوانب التعبديّة في الوصايا

الفرع الأول: برّ الوالدين

بعد بيان حق الله ﷻ علينا ، ألا وهو توحيد ه وعدم الإشراف به . يأتي حقّ الوالدين الذي هو أعظم حقّ بعد حقّ الله تعالى ، فكثيرا ما تفرن الآيات الوصية بعبادة الله وحده البرّ بالوالدين . كما جاء في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء، ٢٣].

وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء، ٣٦] .

يقول الدكتور مصطفى إبراهيم المشني: (إنّ نظم الآيات ووجه ارتباطها وتناسبها حدّد الأولويات في الحقوق والواجبات ، فقدّم حقّ الله المقتضي توحيدته تعالى وتنزيهه عن الشريك، والبرّ بأحكامه وأوامره. ثمّ عطف حقّ الوالدين المقتضي طاعتها والبرّ بهما ، وما أحسن هذا النظم الذي جاء آية في التناسب والرتابة المنطقية إذ صدر الأمر الأول وهو التوحيد وطاعة الله ، لأنّه أصل الوجود، ثمّ تثنى بالوالدين لأنهما أصل الوجود)².

ويرى جمع كبير من المفسرين وغيرهم³ ، أنّ الوصية بالوالدين لم تجر على لسان لقمان وإنّما هي وصية الله للإنسان ، جاءت اعتراضية في ثنايا وصايا لقمان لابنه ، بين النداء الأول والثاني من كلامه لابنه ، وذلك - ربّما - حتّى لا يظنّ المنصوح أنّ الناصح إنّما ينصح من أجل نفسه . وإنّما هي من جانب الله سبحانه بأنّه شرع طاعة الوالد لولديه كفاء فضلها عليه.

لقد تضافرت الآيات في عرض العلاقة الواجبة بين الآباء وأبنائهم بأسلوب رقيق رقيق، فهي وصية الله للإنسان بأن يحسن لوالديه ويشكر فضلها عليه .. فيذكره ربّه

1- الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي الحنفي، ص533.
2- الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، مصطفى إبراهيم المشني، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 7، العدد2، جمادى الآخرة 1431هـ، يونيو2010م، ص14
3 - أنظر على سبيل المثال: المحرر الوجيز لابن عطية، ج4، ص348. والأساس في التفسير لسعيد حوى، ج8، ص4318.

بأصل خلقه حين كان حملاً في بطن أمه وما لاقته من تعب شاق لا يكاد يُطاق في حملة ووضعه وإرضاعه وفضامه ، وما لا قاه والده من كدّ في لقمة العيش وتعب في التربية حيث قدّم له الوالدان ذلك بلا تأفف ولا شكوى، بل بنشاط وفرح وسرور.

فوجب على الإنسان أن يذكر جميل والديه ، ويشكر إحسانهما إليه وإنعامهما عليه ، بأن يستجيب لدعوة ربه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [سورة الأنعام, ١٥١] .

وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل أن يحسنوا للوالدين فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ [سورة البقرة, ٨٣] .

وبيّن الرسول ﷺ منزلة برّ الوالدين من بين سائر الأعمال وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: سألت النبي ﷺ أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال الصلاة على وقتها. قال: ثمّ أيّ؟ ثمّ برّ الوالدين. قال: ثمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله؟¹

وتخصيص الأمّ بالحديث في قوله تعالى: ﴿... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ [سورة لقمان, ١٤] ، حملته أمه وهنا على وهن ، سبب لتقديمها على الأب في الصّحبة، وذلك لكثرة تعبها وشفقتها عليه. ومعاناة المشاق في حملة ثمّ وضعه ثمّ إرضاعه ثمّ تربيته. قال القرطبي: (لَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأُمَّ بِدَرَجَةِ ذِكْرِ الْحَمْلِ وَبَدْرَجَةِ ذِكْرِ الرِّضَاعِ حَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتِبٍ، وَلِلْأَبِ وَاحِدَةً)².

1 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: "ووصينا الإنسان بوالديه حسنا"، ج8، ص2، ح: 5970. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج1، ص89، ح: 85.

2 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص64، والمرتبة الأولى مرتبة الأمومة.

فإن اختلفت العقيدة ، أو أخطأ الوالدان أو أحدهما المسيرة سقط حق الطاعة لهما .
فحق العقيدة مقدّم على كل وشيجة وعلاقة وثيقة ، ويبقى للوالدين حق الصّحة
الكريمة والمعاملة الحسنه ، فاختلف الدين لا يعني سوء المعاملة للآخرين .

ويقدّم على الوالدين في الطاعة والمتابعة من تاب وأناب إلى الله واتبع سبيله ، فإن
المردّ إلى الله ، وحينئذ يعلم كل إنسان ما عمل من خير أو شرّ فيلقى ثوابه وجزاءه .

الفرع الثاني: مراقبة الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان ١٦].

في الآية الكريمة يوجّه الله الإنسان إلى قدرته الواسعة، وأن الله قد أحاط بكل شيء
علما وأحصى كل شيء عددا، يقول القرطبي: (يُعَلِّمُ لِقْمَانَ ابْنَهُ مَدَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى،
حَيْثُ قِيلَ: إِنَّ الْحَسَّ لَا يَدْرِكُ لِلْخَرْدَلَةِ ثِقْلًا، إِذْ لَا تَرَجِحُ مِيزَانًا. أَي لَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
رِزْقٌ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ جَاءَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى يَسْوِقَهَا إِلَى مَنْ هِيَ رِزْقُهُ،
أَي لَا تَهْتَمُّ لِلرِّزْقِ حَتَّى تَشْتَغَلَ بِهِ عَنِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَعَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ مَنْ أَنْابَ
إِلَيْهِ)¹.

وهناك آيات بينات من كتاب الله عزّ وجل تدلّ على سعة علم الله وقدرته العظيمة فمن
ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ [سورة الانعام ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ
مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة فاطر، ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [سورة الأنبياء، ٤٧].

وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴿٨﴾﴾
[سورة الزلزلة، ٧-٨].

1 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص66.

وقوله: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف، ٤٩]. وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الرحمن، ٧].

وكان توجيه لقمان لابنه بقدره الله سبحانه وتعالى وإطلاعه على سعة علمه عز وجل عندما قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال لقمان: ﴿يَبْتِئُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي أَسْمَوَاتٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة لقمان، ١٦]، فمزال ابن لقمان يضطرب حتى مات¹.

ويدرك الإنسان من معرفته لقدرة الله عز وجل مراقبة الله الدائمة له في كل تصرف، في الصغيرة والكبيرة، وفي الجهر والخفاء. لذا فهو يراقب الله وهو يعمل... فلا يعمل شيئاً بغير إخلاص، ولا يعمل شيئاً لغير الله، فانه سبحانه وتعالى يحاسبه على النية بعد العمل وعلى الإخلاص فيه. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..."².

وكذلك ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر ليتعلم الأفكار التي تقرّبه من خالقه العظيم والتي بها ينفع نفسه ومجتمعه والناس أجمعين.

وأيضاً ترويضه على مراقبة الله وهو يُحسُّ، فيتعلم كل إحساس نظيف ولينيربي على كل شعور طاهر.. وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجه إليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في إجابته السائل عن الإحسان: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "³.

وهذه الظاهرة من الترويض والتّعليم كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم وتأديبهم عليها.

وحينما ينهج المربون في تربية الأولاد هذا النهج ويسير الآباء والأمّهات في تأديب الأبناء على هذه القواعد يستطيعون بإذن الله تعالى في فترة يسيرة من الزمن أن

1 - المرجع نفسه، ج14، ص67.

2 - صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ج1، ص6، ح:1. وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات، ج3، ص1515، ح: 1907.

3 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ج1، ص36، ح:8.

يكونوا جيلاً مسلماً مؤمناً بالله معتزلاً بدينه، مفتخراً بتاريخه وأمجاده، ويستطيعون كذلك أن يكونوا مجتمعاً نظيفاً من الإلحاد والميوعة والحدق، ونظيفاً من الجريمة.

الفرع الثالث: إقامة الصلاة

فرض الله ﷻ على عباده عبادات لها أثرها في تهذيب سلوك الإنسان وإصلاح قلبه ، ومن هذه العبادات الصلاة ، فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وعموده الذي لا يقوم إلا به فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)¹ .

1- تعريف الصلاة

أ- الصلاة لغة

اسم مصدر من قولهم صلى صلاة وهو مأخوذ من مادة (ص ل و / ي) التي تدل على أمرين: الأول: النار وما أشبهها من الحمى، والآخر جنس من العبادة، فأما الأول فقولهم صليت العود بالنار، والصلاة ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد. وأما الثاني: فالصلاة هي الدعاء.

والصلاة هي التي جاء بها الشرع من الركوع والسجود وسائر حدود الصلاة، فأما الصلاة من الله تعالى فالرحمة².

ب- الصلاة اصطلاحاً:

أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة. على تفصيل لدى المذاهب³.

2- من معاني كلمة الصلاة في القرآن الكريم:⁴

وقد ورد لفظ الصلاة في القرآن على أوجه منها:

• بمعنى الدعاء: ﴿... إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾﴾

[سورة التوبة، ١٠٣] .

• بمعنى الاستغفار: ﴿...يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

﴿٥٦﴾ [سورة الأحزاب، ٥٦] .

1 - سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج5، ص12، ح: 2616.

2 - مقاييس اللغة لابن فارس ج3، ص300 .

3 - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين، ج6، ص2537.

4 - المرجع نفسه، ج6، ص2539.

- بمعنى الرحمة: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، ٤٣].
- بمعنى صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ... ﴾ [١٣٢]
- [سورة النساء، ١٠٢].
- بمعنى صلاة الجنازة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا... ﴾ [٨٤]
- [سورة التوبة، ٨٤].
- بمعنى صلاة السفر: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ... ﴾ [سورة النساء، ١٠١].
- بمعنى صلاة الأمم الماضية: ﴿ ... وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم، ٣١].
- بمعنى كنائس اليهود: ﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ... ﴾ [سورة الحج، ٤٠].
- بمعنى الصلوات الخمس: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [سورة البقرة، ٤٣] ، وفي غيرها.
- بمعنى الإسلام: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ [سورة القيامة، ٣١] ، أي:

لا أسلم¹.

3- الآيات الواردة في الصلاة²

وهذا نموذج عن كل معنى:

- إقامة الصلاة صفة المؤمنين:

1 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6، عام النشر: 1، 2، 3: 1416 هـ - 1996 م ج 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، ج 6: 1393 هـ - 1973 م، ج 3، ص 436-438.

2 - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين، ج 6، ص 2541.

الآية: ﴿الْم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝﴾ [سورة البقرة، ١-٣].

• الصلاة خير عون في الدنيا والدين:

الآية: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝﴾ [سورة البقرة، ٤٥-٤٦].

• الصلاة شريعة قديمة بقدم النبيين:

الآية: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَادَّكُرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝﴾ [سورة مريم، ٥٥-٥٦].

• شروط يجب توافرها في الصلاة:

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ۝﴾ [سورة النساء، ٤٣].

• من أنواع الصلاة «صلاة الخوف»:

الآية: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَافِقَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِقَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ۝﴾ [سورة النساء، ١٠١-١٠٣].

• صلاة النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وسكن؛ لذا يجب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم:

الآية: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة، ١٠٣] .

• الصلاة منار سخرية للكافرين:

الآية: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [سورة هود، ٨٧] .

وخلاصة القول هي:

إن الصلاة وهي صلة بين العبد وربّه وأول ما أوجبه الله تعالى من العبادات كما هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسدت سائر عمله، وهي الفارقة بين المسلم والكفر ، فأقامتها إيمان وإضاعته كفر وطغيان فلا دين لمن لا صلاة له، يقول الرسول ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر)¹.

وقد بلغ من غاية الإسلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها في الحظر والسفر، والأمن والخوف. قال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة، ٢٣٨-٢٣٩] .

ولقد كانت الصلاة بالنسبة إلى الأنبياء والصالحين شعاراً يحفظونه ، فهذا الخليل إبراهيم عليه السلام يناجي ربه: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾ [سورة إبراهيم، ٤٠] ، وأمر الله عز وجل موسى عليه السلام بالصلاة فقال: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه، ١٤] ، وقال له ولاخيه هارون ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس، ٨٧] ، وحاج شعيباً قومه بقولهم: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ

1 - سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، ج2، ص 269، ح: 413.

فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ [سورة هود, ٨٧] ، وقال عيسى عليه السلام مبيناً وصية ربه له: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ [سورة مريم, ٣١] ، وأصحاب رسولنا الكريم عليهم رضوان الله وصفهم القرآن بأنهم: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [سورة الفتح, ٢٩] ، إنه لمن الغاية في البيان أن يأتي الأمر بالصلاة في ثنايا وصايا لقمان لابنه ، وبعد أهم ركن من أركان العقيدة ألا وهو الإيمان بالله وتوحيده ، فالصلاة أهم ركن من أركان الدين الذي ما جاء الأمر به في هذا المقام إلا ليكون قاعدة أمينة وأصلا مكينا تنهض عليه التكاليف الدعوية وما تحمله من ابتلاءات تستدعي الطاقة والمقدرة على المداومة والصبر والثبات والتحمل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ [سورة البقرة, ١٥٣] .

وفي ضوء هذه الحقيقة يكون لقمان قد وصى ابنه بأهم قضيتين : الأولى تتمثل في أصول العقيدة من الإيمان بالله وتوحيده ، والثانية العمل والتطبيق وفقا لمقتضيات ذلك الإيمان .

ولتحقيق ما تقدم وتوكيده يلفت القرآن الكريم النظر لصيغة الفعل ومادته ، فصيغة الفعل "قام" على اختلاف تقاليبيها ومشتقاتها ، تعني بالضرورة الأداء على الوجه الأكمل وجوبا حقيقيا لا شكلا ولا ظاهرا حتى تؤدي وظيفتها : ﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [سورة العنكبوت, ٤٥] ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فتارة يأتي الفعل ماضيا لإفادة الثبات ، وتارة مضارعا لإفادة تجدد الأمر به والمداومة عليه واستحضار آثاره، وتارة يأتي باسم الفاعل "مقيم" "قائم" للدلالة على رسوخ الصفة وغير ذلك مما يقتضيه المقام .

الفرع الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ من أكد أصول الدّين ومن أهمّ وسائل إصلاح المجتمعات وتقويم الانحرافات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا كان هو المهمّة الأساسيّة التي بعث الله بها النّبیین والمرسلین ، ولقد جاءت التذويحات الإلهيّة بحضّ الأُمّة الإسلاميّة على القيام به في آيات عدّة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران ، ١٠٤] .

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أ- في اللّغة:

والأمر في اللّغة : نقيض النّهي¹ . وهو قول القائل لمن دونه : "أفعل"²

والمعروف في اللّغة، قال ابن منظور: المعروف ضدُّ المنكر ... والمعروف الجود وقيل هو اسم ما تبذله وتسديه ... والمعروف واحد ضد النُّكر وهو كل ما تعرفه النَّفس من الخير وتبس ابه وتطمئن إليه³ .

والنّهي في اللّغة خلاف الأمر. ونهيته عن كذا فانتهى عنه وتناهى و أي كفّ . وتناهو عن المنكر، أي نهى بعضهم بعضاً⁴ .

والمنكر في اللّغة : خلاف المعروف⁵ ،

ب- في الاصطلاح:

المعروف : اسم جامع لكل ما عرف ما طاعة الله والتّقرب إليه والإحسان إلى النّاس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسّنات والمقبّحات⁶

المنكر: كل ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرّهه⁷ .

1 - معجم مقبّيس اللّغة، ابن فارس، ج1، ص137.

2 - كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، ج1، ص36، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م، عدد الأجزاء: 1.

3 - لسان العرب، ابن منظور، ج10، ص112.

4 - الصحاح: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ - 1987م، ج 6، ص2517.

5 - لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص353.

6 - المرجع نفسه، ج10، ص112.

7 - المرجع نفسه، ج14، ص353.

لقد أمرنا الله تعالى بالقيام بهذا الواجب وما ذلك إلا لأهميته ، قال تعالى : ﴿ وَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، ١٩٩] . ومما يدل على عظم منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقديم ذكرهما في كتاب الله تعالى على الإيمان الذي هو أصل الدين ، وشرط صحة جميع العبادات قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، ١١٠] . كذلك تقديم ذكرهما على ركنين من أركان الإسلام وهما الصلاة والزكاة ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة ، ٧٢] . كذلك مما يدل على علو مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله تعالى جعله من أخص صفات النبي و أخص صفات عباده المؤمنين . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، ١٥٧] . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ، ٧١] .

ومافضلت هذه الأمة على على سائر الأمم السابقة إلا لقيامها بهذه المهمة قال تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة

آل عمران، ١١٠] . ولقد عدّ القرطبي الصلّاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعظم الطاعات: (والأمر بالمعروف هو كل ما أمرت به الشريعة ، والمنكر هو كل ما حرّمته)¹

ولقد أدرك لقمان ذلك كله فكانت غايته من " وأمر بالمعروف وانه عن المنكر " أن يخلق في ابنه شخصية جريئة وإيجابية تتحمّل المسؤولية تجاه مجتمعها ، ويعنيها صلاح الإنسانية ، بل صلاح الكون كلّ ، فبذلك يتحقّق الهدف من خلق الإنسان .

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب ، وهي :

- التّغيير باليد .

- التّغيير باللسان .

وهاتان المرتبتان تكونان بحسب القدرة .

- الإنكار بالقلب بكراهيته وبغضه لهذا المنكر ، ولقد دلّ على هذه المراتب الثلاث قوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)² .

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط منها :

- العلم بالمعروف والمنكر قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف، ١٠٨] .

- الابتعاد عن الاتهام والظنّ في النّاس فينبغي التّأكد بأنّ هذا الشّخص تاركاً للمعروف أو فاعلاً للمنكر .

- الحكمة والرّفق والبعد عن العنف في الأمر والنهي يقول ﷺ: (إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)³ .

- ألا يترتّب على الإنكار حصول منكر أعظم ، فإن ترتّب ذلك فلا يجوز الإنكار درءاً لكبرى المفسدتين .

الآثار المترتّبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- فوات الآثار الطيّبة المترتّبة على القيام به .

1 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص68 .
2 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان يزيد وينقص، ج1، ص69، ح:49 .
3 - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرّفق، ج4، ص2004، ح : 2594 .

- التّعذيب بأنواع العقوبات من الهلاك والتدمير والقحط وقلة البركة، قال ﷺ: (إنّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمَ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ)¹.

- عدم استجابة الدّعاء، قال ﷺ: (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا ثَمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ)².

- اللّعن والطرد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة، ٧٨-٧٩].

- الاختلاف والتفرق والعدوان، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنعام، ١٠٤].

ثم أعقب ذلك بهذا النهي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران، ١٠٥].

مما يدلّ على أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب التفرق والاختلاف.

المطلب السادس: الجانب الأدبي والأخلاقي في الوصايا

(الصبر على المشاق - التواضع وعدم التكبر - الأدب مع الخلق).

بداية مع موضوع الأخلاق، الذي أولاه ديننا العناية الكبيرة حتى أنّ نبيّنا محمداً صلّى الله عليه وسلّم، حصر بعثته في مكارم وصالح الأخلاق حيث قال: " إنّما بعثت لأتمّم صالح الأخلاق"³، وقد عرّف العلماء موضوع الأخلاق بالقول: " هو كلّ ما يتّصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلّق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد"⁴.

من هنا جاءت الأخلاق الحسنة كأحد مقومات شخصيّة المسلم، "فالإنسان جسد وروح، ظاهر وباطن، والأخلاق الإسلامية تمثّل صورة الإنسان الباطنة، والتي

1 - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج4، ص122، ح:4338. والترمذي في الجامع الصحيح، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ج4، ص467، ح:2168.

2 - سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج4، ص468، ح:2169، وقال حديث حسن.

3 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ج14، ص513، ح:8952، وأخرجه أيضاً بنفس السند ابن سعد في الطبقات (468)، والبخاري في الأدب (273)، والحاكم في مستدرکه (4187)، وقال: صحيح على شرط مسلم و وافقه الذهبي.

4 - مؤسّعة الأخلاق، خالد بن جمعة الخراز، ص23، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: 1، 1430 هـ - 2009 م.

محلُّها القلب، وهذه الصّورة الباطنة هي قوام شخصيّة الإنسان المسلم، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنّما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق.¹

وهكذا نستطيع أن نقول: إنّ أيّة فضيلة خلقية، باستطاعة أيّ إنسان عاقل، أن يكتسب منها بالتربية المقترنة بالإرادة والتّصميم، المقدار الذي يكفيه لتأدية واجب السّلوک الأخلاقي.

"...والنّاس من بعد ذلك يتفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلّم الفضائل. وتفاوت الاستعدادات والطبائع، لا ينافي وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار ما من أي فرع من فروع الاختصاص، سواء أكان ذلك من قبيل العلوم، أو من قبيل الفنون، أو من قبيل المهارات، أو من قبيل الأخلاق. وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الرّبانيّة العامّة، ثم ترتقي من بعده مسؤوليات الأفراد بحسب ما وهب الله كلّاً منهم من فطر، وبحسب ما وهب كلّاً منهم من استعدادات خاصّة، زائدة على نسبة الاستعداد العام. ووفق هذا الأساس، جاءت التكاليف الشرعية بالتزام فضائل الأخلاق واجتناب رذائلها. ووفق هذا الأساس كذلك، وضع الإسلام الخطط التّربوية التي تنفع في التّربية على الأخلاق الفاضلة، فالاستعداد لذلك موجود في الواقع الإنساني، وإن اختلفت نسبة هذا الاستعداد من شخص إلى آخر. وفي الإصلاح التّربوي قد يقبل بعض النّاس بعض فضائل الأخلاق بسهولة، ولا يقبل بعضها الآخر إلاّ بصعوبة ومعالجة طويلة المدى، وقد تقل نسبة استجابته..."²

ثم إنّ الواجب على كلّ مسلم أن يتأسّى برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويتحلّى بهذه الأخلاق الحميدة، وأن يتحلّى عن الأخلاق السيّئة فينتهي عمّا نهى الله عنه وعمّا حثّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على تركه من ذميم الأخلاق وسيّء الخصال، ولما كان خلقه صلّى الله عليه وسلّم القرآن- كما أخبرت بذلك أمّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-³، فإنّ الأخلاق والآداب التي جاءت بها وصايا لقمان في القرآن الكريم، قد تجسّدت عملياً من خلال تطبيق متكامل في شخص الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وسنّته المطهّرة. فوصفه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [سورة

القلم، ٤].

من هنا سنبدأ في تقصّي هذه الأخلاق والآداب، في شكل مواضيع مستقلة ومتناسقة في آن واحد ضمن الوصايا، والبداية مع:

1 - عن موقع: www.dorar.net /، عن مؤسّسة الأخلاق، لخالد بن جمعة الخراز (بتصرّف)، بتاريخ: 2005/05/18، سا: 15: 22.
2 - المرجع نفسه.
3 - جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم (حديث رقم 746، كتاب: صلاة المسافريّن وقصرها، باب: جامع صلاة اللّيل، وممّن نام عنهُ أو مرّض، ج 1، ص 512)، حيث قالت أمّ المؤمنين: «إن خلق نبي الله كان القرآن».

الفرع الأول: الصبر على المشاق

يقول تعالى: ﴿... وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝﴾ [سورة لقمان، ١٧].

وهذا موضوع آخر حوته الوصايا، إنه الصبر الذي قال عنه ابن عباس: مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ. ففي هذه الآية أمر سيدنا لقمان ابنه بالصبر على شدائد الدنيا كالأمرض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عز وجل، وهذا قول حسن لأنه يعم¹.

غير أنه لا بد أن نعرف بداية ما الصبر؟

1- تعريف الصبر ومراتبه وأنواعه أ- الصبر لغة:²

مصدر صبر يصبر وهو مأخوذ من مادة (ص ب ر) التي تدل بحسب وضع اللغة على معان ثلاثة: الأول الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة، وقد اشتق الصبر المراد هنا من المعنى الأول وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها، والمصبورة المحبوسة على الموت، ومن الباب ما ورد من نهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل شيء من الدواب صبرا.

وقال الراغب: الصبر: الإمساك في ضيق³، يقال صبرت الدابة بمعنى حبستها بلا علف، ويقال صبر فلان عند المصيبة صبرا وصبرته أنا حبسته. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [سورة الكهف، ٢٨]. أي احبس نفسك معهم.

وقيل: أصل الكلمة من الشدة والقوة، ومنه الصبر للدواء المعروف بشدة مرارته وكراهته⁴.

1 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج14، ص68.
2 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج2، ص706-707، ولسان العرب، لابن منظور «ص ب ر» ج4، ص438.
3 - تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، ص177، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
4 - لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص438.

ب- من معاني الصبر في اللغة :

قال الفيروز ابادي: وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعهم، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً¹، وإن كان عن شهوة الفرج سمي عفة، وإن كان عن شهوة طعام سمي شرف نفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلماً².

ت- الصبر اصطلاحاً:

قال الراغب: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه. وقال المناوي: الصبر: قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية³. وقيل: "هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب- عليه السلام- بالصبر بقوله تعالى: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، ٤٤]. مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، ٨٣]. فعلم أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدر في صبره. وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. وقيل: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة. وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقيل: هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والسعة. وقيل: هو ثبات القلب عند موارد الاضطراب⁴.

ث- مراتب الصبر:

قال الفيروز ابادي: مراتب الصبر خمسة: صابر ومصطبر، ومتصبر، وصبور، وصابر. فالصابر أعماها، والمصطبر: المكتسب للصبر، المبتلى به، والمتصبر: متكلف الصبر حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره، والصابر: الشديد الصبر فهذا في القدر والكمم والذي قبله في الوصف والكيف⁵.

1 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ج1، ص560، والصبر في إمساك النفس عن الفضول قناعة.
2 - كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص131، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.
3 - التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ج1، ص212.
4 - مدارج السالكين، ابن القيم، ج1، ص162-163.
5 - المرجع السابق، ج3، ص165.

ج- أنواع الصّبر:

قال صاحب المدارج: الصّبر باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام: صبر الأوامر والطّاعات حتّى يؤدّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتّى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأفضية حتّى لا يتسخطّها¹.

2- ما ورد في الصّبر من نصوص الكتاب العزيز

قال الإمام أحمد رحمه الله: "ذكر الله سبحانه الصّبر في القرآن في تسعين موضعاً². ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصّبر وهي عدّة أنواع على النحو الآتي:

أ- الصّبر والمصابرة في القرآن الكريم³:

ورد الصّبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها:

• الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿... وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبٰسَاءِ وَالضَّرَآءِ ... ﴾ (١٧٧) ﴿

[سورة البقرة، ١٧٧].

• الاستجابة لأمر الله تعالى بالصّبر وإيجاب معيّته لهم تلك المعية التي تتضمن حفظهم لقوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ

إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿١٥٣﴾ [سورة البقرة، ١٥٣]. ، وقوله تعالى: ﴿... وَأَصْبِرُوْا إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿٤٦﴾ [سورة الأنفال، ٤٦].

• الإخبار أنّ أهل الصّبر مع أهل العزائم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ

إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِ ﴿٤٣﴾ [سورة الشورى، ٤٣].

• يورث صاحبه الإمامة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أٰمِيَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا

لَمَّا صَبَرُوْا... ﴿٢٤﴾ [سورة السجدة، ٢٤].

• اقتترانه بمقامات الإسلام والإيمان⁴.

1 - المرجع السابق، ج3، ص165.

2 - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ج1، ص48.

3 - الفوائد، ابن القيم، ص283 (بتصرف بيسير).

4 - لم يذكر الفيروز آبادي آية معينة لهذا المعنى، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا أَصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا... ﴿٥٥﴾

[سورة آل عمران، ٢٠٠].

● إطلاق البشرى لأهل الصبر على الابتلاء بمصائب الحياة الدنيا ومصاعبها بأن جزاءهم على صبرهم هو الحصول على صلوات من ربهم ورحمة وهداية إلى الصراط المستقيم بإذن الله كقوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوتُنَّكُمْ فِي شَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة البقرة، ١٥٥-١٥٧].

● إن الصابرين بأنفسهم على طاعة الله والتكاليف المنوطة بهم والتقوى ومجاهدة النفس ونهيتها عن الهوى وتزكيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفى لهم أجورهم بغير حساب لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا... إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الزمر، ٩-١٠]. ، وأولئك الصابرين لهم عقبى الدار، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ... ﴿١٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الرعد، ٢٢-٢٤].

● ضمان النصر والمدد لهم كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة آل عمران، ١٢٥].

ب- الصبر على الطاعات:

● الآية: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة البقرة، ٤٦].

● الآية: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ

بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢٨﴾ [سورة البقرة, ٢٤٩].

- الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِّنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ
بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٨﴾ هَتَأَنْتُمْ أَوْلَاءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ
وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ
الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢٩﴾ إِن
تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ
مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ
طَّافِقَتَانِ مِّنْكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ
لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٣٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ
بِخَمْسَةِ ءَأَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتُظْمِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾
- [سورة آل عمران, ١١٨ - ١٢٦].

- الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة آل عمران, ١٤٢].
- الآية: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا
أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَىٰ

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ أَلْفُ نَفْسٍ مِّنْ قَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ أَلْفُ نَفْسٍ مِّنْ قَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ أَلْفُ نَفْسٍ مِّنْ قَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٠﴾

- الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة آل عمران, ٢٠٠].
- الآية: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَاذْنُوهُنَّ يَا ذِىنِ أَهْلِهِنَّ وَعَثَوهُنَّ أَجْرَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُّسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النساء, ٢٥].

هذه نماذج أكتفي بها، وأسوق ما تبقى من الآيات على النحو الآتي: رقم الآية واسم السور، يرجع إليها في المصحف لمن أراد الاطلاع أكثر.

- يونس: 109 مكية، - هود: 9- 11 مكية، - هود: 45- 49 مكية، - هود: 114- 115 مكية، - الرعد: 22- 24 مدنية، - النحل: 110 مكية، - الكهف: 28 مكية، - الكهف: 60- 69 مكية، - مريم: 63- 65 مكية، - المدثر: 1- 7 مكية، - الإنسان: 23- 25 مدنية.

ت- الصبر على البلاء:

وهذه نماذج من آيات حول هذا الموضوع:

- الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴿١٥٩﴾﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٦١﴾﴾

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [سورة البقرة, ١٥٣-١٥٧].

• الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة, ١٧٧].

• الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [سورة آل عمران, ١٨٥-١٨٦].

وهذه باقي الآيات:

- الأنعام: 33-34 مكية، - الأعراف: 87 مكية، - الأعراف: 117-126 مكية، - الأعراف: 128 مكية، - الأنفال: 45-46 مدنية، - يوسف: 16-18 مكية، - يوسف: 81-83 مكية، - إبراهيم: 7-12 مكية، - طه: 130-132 مكية، - الحج: 34-35 مدنية، - الفرقان: 20 مكية، - لقمان: 17 مكية، - غافر: 53-55 مكية، غافر: 77 مكية، محمد: 31 مدنية، المزمّل: 1-10 مكية.

ث- الصبر وثماره:

• الآية: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنُونَ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦٦﴾ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧٧﴾ [سورة آل عمران, ١٦٦-١٧٧].

• الآية: ﴿وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف , ١٣٧].

• الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ أَلَنْ حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الأنفال , ٦٥-٦٦].

وهذه أرقام باقي الآيات:

- يوسف: 88-90 مكية، - إبراهيم: 5 مكية، - إبراهيم: 21 مكية، - النحل: 96 مكية، - النحل: 126-128 مكية، - المؤمنون: 99-111 مكية، - الفرقان: 73-75 مكية، - القصص: 51-54 مكية، - القصص: 79-80 مكية، - العنكبوت: 57-59 مكية، - لقمان: 31 مكية، - السجدة: 23-24 مكية، - سبأ: 15-19 مكية، - الزمر: 10 مكية، - فصلت: 33-35 مكية، - الشورى: 32-33 مكية، - الحجرات: 4-5 مكية، - الإنسان: 5-12 مكية، - البلد: 1-20 مكية، - العصر: 1-3 مكية، - القمر: 23-27 مكية، - القلم: 44-50 مكية، - المعارج: 1-7 مكية، - البقرة: 155 مكية، - البقرة: 249 مكية، - آل عمران: 186 مكية، - البقرة: 49 مكية، - البقرة: 124.

3- الأحاديث الواردة في الصبر والمصابرة

في هذا المقام وطلبا للاختصار، سأنتخب جملة من الأحاديث، التي وردت ثابتة عن رسول الله ﷺ، من ضمن كوكبة كثيرة تزدان بها كتب الحديث، والبداية مع:

▪ * (عن عثمان بن حنيف: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك» . قال: فادعه. وقال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في») *¹.

1 - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، باب: في فضل لاجول ولا قوة إلا بالله، ج6، ص569، ح: 3578، وقال: حديث حسن صحيح. وأورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الشيخ الألباني (1290). وزاد أحمد وابن خزيمة والحاكم «وشفعني فيه» وهي من الأدلة الكثيرة على أن التوسل والتوجه المذكور في الحديث هو بدعائه صلى الله عليه وسلم لأن معناها: اقبل شفاعتي: أي في دعائه وكذلك قوله «شفعه في» أي اقبل شفاعته أي دعاه. ذكر هذه الفائدة الشيخ الألباني في صحيح الجامع (ج1/ص404).

- * (عن ابن عمر - رضي الله عنه - : أن مولاة له أتته فقالت: اشتد عليّ الزمان، وإنّي أريد أن أخرج إلى العراق. قال: فهلاّ إلى الشام أرض المنشور واصبري لكاع¹ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من صبر على شدتها ولأوائها² كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة») *³.
- * (عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم. حتّى إذا نفذ ما عنده قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم. ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله. ومن يصبر يصبره الله وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر») *⁴.
- * (عن ابن عباس - رضي الله عنه - : أنه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنّة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أنت النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: إنّي أصرع وإنّي أتكشّف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنّة. وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». قالت: أصبر. قالت: فإنّي أتكشّف فادع الله أن لا أتكشّف، فدعا لها) *⁵.
- * (عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبيّ صلى الله عليه وآله : أنّها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الطّاعون فأخبرها نبيّ الله صلى الله عليه وآله : «أنّه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطّاعون، فيمكث في بلده صابرا يعلم أنّه لن يصيبه إلّا ما كتبه الله له إلّا كان له مثل أجر الشهيد») *⁶.
- * (عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الله - عزّ وجلّ - قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوّضته منهما الجنّة» يريد عينيه) *⁷.
- * (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «الطّاعم الشّاكر بمنزلة الصّائم الصّابر») *⁸.

4- المثل التطبيقي من حياة النبي صلى الله عليه وآله في الصبر والمصابرة

وبالحديث عن الصّبر لا نجد إلّا أن نسوق المثل الحيّ له، والمتمثّل في شخص رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإليكم هذه الآثار الثّابتة عنه:

1 - لكاع: يقال امرأة لكاع ورجل لكع، ويطلق ذلك على اللثيم وعلى العبد وعلى الغبي الذي لا يفهم كلام غيره وعلى الصغير. وخاطبها ابن عمر بهذا إنكارا عليها وليس المراد وصفها بذلك المعنى.
2 - أي لأواء المدينة. و الأواء: الشدة وضيق العيش.
3 - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، باب: ما جاء في فضل المدينة، ج5، ص719، ح: 3918، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عبيد الله.
4 - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، ج8، ص99، ح: 6470. / صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ج2، ص729، ح: 1053.
5 - صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح، ج7، ص116، ح: 5652. / صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، ج4، ص1994م، ح: 2576.
6 - صحيح البخاري، كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون، ج7، ص131، ح: 5734.
7 - صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، ج7، ص116، ح: 5653.
8 - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، باب، ج4، ص611، ح: 2486، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب في صحيح سنن الترمذي للألباني (2021)، أخرجه أحمد في المسند ح: 7793، وقال محققه الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

■ * (عن عائشة رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ : أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب¹ . فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّنتي فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمّد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً») *² .

■ * (عن عبد الله بن مسعود- ﷺ - قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك³ وعكا شديدا. قال: «أجل إنّي أوعك كما يوعك رجلا منكم» قلت: ذلك بأنّ لك أجرين. قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى- شوكة فما فوقها- إلا كفر الله بها سيئاته كما تحطّ⁴ الشجرة ورقها») *⁵ .

■ * (عن جندب بن سفيان- ﷺ - قال: «دميت⁶ إصبع رسول الله ﷺ في بعض تلك المشاهد فقال: «هل أنت إلا إصبع دميت .. وفي سبيل الله ما لقيت») *⁷ .

5- من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الصبر والمصابرة

- * (عن عمر- ﷺ - قال: «وجدنا خير عيشنا الصبر») *⁸ .
- * (قال عليّ بن أبي طالب - ﷺ - «الصبر مطيّة لا تكبو») *⁹ .
- * (عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : أنّ ثلاثة نفر جاءوه فقالوا: يا أبا محمّد إنّنا والله! ما نقدر على شيء: لا نفقة ولا دابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم، إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم») *¹⁰ .

1 - هو: قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.
2 - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال: أحدمك أمين والملائكة في السماء أمين فوافقت إحداهما، ج 4، ص115، ح:3231. / صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، ج3، ص1420، ح:1795.
3 - توعك: الوعك قيل الحمى وقيل ألمها.
4 - تحطّ: تلقية منتشرًا.
5 - صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ج7، ص115، ح:5648. / صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، ج4، ص1991، ح:2571.
6 - دميت: أي جرحت وخرج منها الدم.
7 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج8، ص34، ح:6146. / صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، ج3، ص1421، ح:1796.
8 - إدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: 8 ج1، ص165.
9 - عدة الصابرين، ابن القيم، ج1، ص17.
10 - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، ج4، ص2285، ح:2979.

■ * (وقيل: الصّبر لله غناء، وبالله تعالى بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء، والصّبر على الطّلب عنوان الطّفّر وفي المحن عنوان الفرج. قال ابن تيمية: "ذكر الله تعالى في كتابه: الصّبر الجميل، والصّفح الجميل، والهجر الجميل. الصّبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصّفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل: هو الذي لا أذى معه"¹).

■ * (قال الفيروز ابادي: «قيل: الصّبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: هو الفناء في البلوى، بلا ظهور شكوى، وقيل: إلزام النّفس الهجوم على المكاره، وقيل: المقام مع البلاء بحسن الصّحبة، كالمقام مع العافية»²).

■ * (وقيل الصّبر: هو الاستعانة بالله، وقيل هو ترك الشّكوى، وقيل: الصّبر مثل اسمه مرّ مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل)³.

وينقسم باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به إلى :

وهو ينقسم بهذا الاعتبار إلى واجب ومندوب ومحذور ومكروه ومباح.

فالصّبر الواجب كالصّبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.

وأما الصّبر المندوب فهو الصّبر عن المكروهات والصّبر على المستحبات والصّبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما المحذور فأنواع أحدها الصّبر عن الطّعام والشّراب حتى يموت، وكذلك الصّبر عن الميتة والدّم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام إذا خاف بتركه الموت قال الامام أحمد: من اضطرّ إلى أكل الميتة والدّم فلم يأكل فمات دخل النّار.

6- من فوائد الصّبر والمصابرة

- ضبط النّفس عن السّام والملل، لدى القيام بأعمال تتطلّب الدّاب والمثابرة خلال مدّة مناسبة، قد يراها المستعجل مدّة طويلة.
- ضبط النّفس عن العجلة والرّعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادّيّة أو المعنويّة.

1 - مدارج السالكين، ابن القيم، ج2، ص167.

2 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، ج3، ص377.

3 - المرجع نفسه، ج3، ص378.

- ضبط النَّفس عن الغضب والطَّيش، لدى مثيرات عوامل الغضب في النَّفس، ومحَرِّضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتزان في القول أو في العمل.
- ضبط النَّفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النَّفس.
- ضبط النَّفس عن الطَّمع لدى مثيرات الطَّمع فيها¹.
- ضبط النَّفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.
- ضبط النَّفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسديَّة والنَّفسيَّة، كلِّما كان في هذا التحمُّل خير عاجل أو آجل.
- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- يورث هداية في القلب.
- يثمر محبة الله ومحبة النَّاس.
- سبب للتمكين في الأرض.
- الفوز بالجنة والنَّجاة من النَّار.
- معية الله للصَّابرين.
- الأمان من الفرع الأكبر يوم القيامة.
- مظهر من مظاهر الرِّجولة الحقة وعلامة على حسن الخاتمة.
- صلاة الله ورحمته وبركاته على الصَّابرين².

الفرع الثاني: التواضع وعدم التكبر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة لقمان، ١٨].

يستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى آداب المسلم التي يجب أن يتحلَّى بها، فالمسلم لا يجوز له التَّعالي على النَّاس والتَّطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير تارة، وباسم الأفضليَّة أخرى، ومن باب أولى يكون التَّعالي والتَّطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل .

1 - الفوائد من (1- 5) عن كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حينكة الميداني (306- 307) بتصرف يسير.
2 - (الفوائد من 6 إلى 16)، انظر: كتاب/ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، ج6، ص2471، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

"ولهذا لما أمر لقمان ابنه بأن يكون كاملاً في نفسه، مكملاً لغيره، كان يخشى بعدها من أمرين، أحدهما: التَّكَبُّرُ على الغير بسبب كونه مكملاً به. والثاني: التَّبَخُّرُ في النَّفْسِ بسبب كونه كاملاً في نفسه"¹.

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأنَّ التَّكَبُّرَ ليس من أخلاق المؤمن، فلو عرف المتكبر حقيقة نفسه أي أنّ أوله نطفة قدر، وآخره جيفة منتنة يخجل من نفسه، ووقف عند حدّه، وأخلص العبادة لربّه وتواضع لخالقه، لأنّ الإنسان كلّما تواضع لله رفعه الله، وكلما تكبر عليه وضعه وقصمه، وقد أكّد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"².

وقال أيضاً: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر"³.

كما يظهر من العرض السابق أنّ أولى الأخلاق التي يرغب لقمان في غرسها في ابنه عدم التَّكَبُّرِ على الناس، والتَّوَّاضُعِ لهم.

فما التَّكَبُّرُ و ما التَّوَّاضُعُ يا ترى؟

أولاً: التَّكَبُّرُ

1- تعريف التَّكَبُّرِ لغة واصطلاحاً

أ- التَّكَبُّرُ لغة:

الكِبْرُ: العَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ، كالكِبْرِيَاءِ، وقد تَكَبَّرَ واستَكْبَرَ وتَكَابَرَ، والتَّكَبُّرُ والاستِكْبَارُ: التَّعَظُّمُ، والكِبْرُ بالكسر: اسم من التَّكَبُّرِ⁴.

ب- معنى الكِبْرِ اصطلاحاً:

معنى الكِبْرِ جاء تعريفه في حديث النبي ﷺ فقد قال: (الكِبْرُ بطر الحق، وغمط الناس)⁵.

والكِبْرُ: حالةٌ يتخصَّصُ بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره⁶.

1 - معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن بن محمد عبد المحسن الأنصاري، أستاذ مساعد بقسم التربية بكلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص30، (بحث أكاديمي).
2 - صحيح مسلم، كتاب البر والصلوة والأداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث: 4695، من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
3 - صحيح مسلم، كتاب الظهارة، باب بيان غلظ تحريم إسهال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف. وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رقم الحديث: 107، من حديث أبي هريرة.
4 - تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج8، ص14.
5 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدرة وعلامة الساعة، ج1، ص93، ح: 91، وفي كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج1، ص93، ح: 91.
6 - تاج العروس، الزبيدي، ج8، ص14.

وقيل الكِبْر هو: (استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له)¹.

2- الكبر في القرآن الكريم:

- الكِبْر من أوّل الذنوب التي عُصي الله تبارك وتعالى بها، قال الله تعالى مبيناً سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 34].

- والكِبْر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة: فهو لاء قوم نوح ما منعهم عن قبول الدعوة، والاستماع لنداء الفطرة والإيمان، إلا الكِبْر، فقد قال الله تعالى على لسان نبيهم نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح: 7].

وهؤلاء قوم عاد ظنوا بسبب تكبرهم أنه لا قوة أشد من قوتهم، فقد قال الله عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: 15-16].

وها هي ثمود من بعدهم ينهجون نفس النهج في الاستكبار والتعالي، فيردون دعوة الله عز وجل، ويكذبون نبيه عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالَوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: 75-76].

1 - تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع بطنطا - مصر، الطبعة الأولى: 1410هـ - 1989م، ص32.

وقال الله تعالى عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَخُرَجَتِكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِينِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف: 88].

أما فرعون فقد ملأ الدنيا كبراً وعجباً وخيلاً، حتى وصل به الحال أن ادعى الربوبية والألوهية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلَمُوا أَنَّهُمْ إِلَهِنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: 38-40].

- والكبر سبب في الإعراض عن آيات الله والصد عنها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية: 7-8].

- وهو سبب للصراف عن دين الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146].

- وهو سبب لدخول النار والخلود فيها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: 20].

3- الكبر في السنة النبوية

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر! فقال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاسِ)¹.

وقد اختلف في تأويله. فذكر فيه وجهان:

"أحدهما: أن المراد التَّكبر عن الإيمان، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه.

والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر، حال دخوله الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: 43]. وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس، واحتقارهم، ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب. بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين، أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه. وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً، وإما ثانياً بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها. وقيل: لا يدخل مع المتقين أول وهلة"².

وقد (فسر النبي الكبر بضده فقال: الكبر بطر الحق وغمص الناس. فبطر الحق: رده، وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل. وغمص الناس: احتقارهم، وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها)³.

- وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف؛ لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل⁴، جواظ⁵ مستكبر⁶) .

1 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، ج1، ص93، ح: 91.

2 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المؤلف: 676هـ)، ج2، ص91.

3 - مدارج السالكين، ابن قيم، ج2، ص318.

4 - العتل: قيل: الشدديد الخصومة. وقيل: الجافي عن الموعظة. وقيل: اللفظ الشديد من كل شيء وهو هنا الكافر. وقيل: العتل الفاحش الأثم، وقيل: الغليظ العنيف، وقيل: السمين العظيم العنق والبطن. وقيل: الجموع المنوع. وقيل: القصير البطين. (فتح الباري، ابن حجر، ج8، ص663).

5 - الجواظ: قيل: الكثير اللحم المختال في مشيه. وقيل: هو الأكل. وقيل: الفاجر. وقيل: الجواظ: اللفظ الغليظ. (فتح الباري، ابن حجر، ج8، ص663).

6 - صحيح البخاري، كتاب المظالم والعصب، باب {عتلٌ بعد ذلك زنيم} [القلم: 13]، ج6، ص159، ح: 4918/ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب القار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج4، ص2190، ح: 2853.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: (احتجبت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، ففضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليهما علي ملؤها)¹ .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)² .³

يقول ابن تيمية: (فهؤلاء الثلاثة: اشتركوا في هذا الوعيد، واشتركوا في فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم؛ فإن داعية الزنا في الشيخ ضعيفة، وكذلك داعية الكذب في الملك ضعيفة؛ لاستغناؤه عنه وكذلك داعية الكبر في الفقير، فإذا أتوا بهذه الذنوب- مع ضعف الداعي- دلّ على أنّ في نفوسهم من الشرّ الذي يستحقون به من الوعيد ما لا يستحقه غيرهم)⁴ .

4- أقوال السلف والعلماء في الكبر

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حكّمته⁵ ، وقال له: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعتا وهصه⁶ الله إلى الأرض، وقال له: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير)⁷ .

- وقال الحسن: (إنّ أقوامًا جعلوا الكبر في قلوبهم، والتواضع في ثيابهم، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف⁸ بمطرفه ما لم تفاقروا)⁹ .

- وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر¹⁰ .

- وقال النعمان بن بشير- رضي الله عنه - على المنبر: (إنّ للشيطان مصالي¹¹ وفخوخًا¹² ، وإنّ من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على

1 - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الفار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج4، ص2186، ح: 2846.

2 - عائل مستكبر، أي: فقير متكبر.

3 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إنبال الإزار، ج1، ص102، ح: 107.

4 - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحاراني (ت: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام 1416هـ/1995م، ج18، ص14.

5 - حكمة الإنسان: مقدم وجهه. انظر: (لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص144).

6 - وهصه: كسره ودقّه. (غريب الحديث، القاسم بن سلام، ج3، ص361).

7 - رواه ابن أبي شيبة، 96/7، وأبو داود في الزهد، ص85، والبيهقي في الشعب، 454/10.

8 - المطرف: رداء من خز مرقع، ذو أعلام. (القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص832).

9 - التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: 281هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: 1، 1409 - 1989، عدد الأجزاء: 1، ص90.

10 - المرجع نفسه.

11 - المصالي: شبيهة بالشرك، واحدها مسلاة. (النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص51).

12 - الفخوخ: جمع فخ وهو المصيدة. (القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص256).

عباد الله، واتَّباع الهوى في غير ذات الله)¹.

- وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: (يا بني: إيَّاك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه: علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النُّطفة التي منها خلقت، والرحم التي منها قذفت، والغذاء الذي به غذيت)².

5- من آثار الكِبَر³

● الحرمان من النَّظر والاعتبار:

أي أنَّ الأثر الأول الذي يتركه التكبر على المسلم إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار... ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، غارقًا في أحواله، حتى تنتهي الحياة.

● القلق والاضطراب النفسي:

ذلك أن المتكبر يحبُّ إشباعًا لرغبة الترفع والتعالي، أن يحني الناس رؤوسهم له، وأن يكونوا دومًا في ركابه، ولأنَّ أعزة الناس وكرامهم يأبون ذلك، بل ليسوا مستعدين له أصلًا، فإنه يصاب بخيبة أمل، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، هذا فضلًا عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره، وذلك له عواقب أدهاها في هذه الدنيا القلق والاضطراب النفسي.

● الملازمة للعيوب والنقائص:

وذلك إنَّ المتكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كلِّ شيء لا يفتش في نفسه، حتَّى يعرف أبعادها ومعالمها، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح، ولا يقبل كذلك نصحاء أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النَّار مع الدَّاخِلِينَ.

● الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النَّار:

وذلك أمر بدهي، فإنَّ من يعتدي على مقام الألوهية، ويظلُّ مقيمًا على عيوبه وردائله، ستنتهي به الحياة حتمًا، وما حصلَّ خيرًا يستحق به ثوابًا أو مكافأة، فيحرم الجنة مؤبدًا أو مؤقتًا.

● قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتَّمزق، والشَّعور بالعزلة:

1 - إحياء علوم الدِّين، الغزالي، ج3، ص339.
2 - العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: 328هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، عدد الأجزاء: 8، ج2، ص197.
3 - آفات على الطريق، محمَّد نوح، ج1، ص175، (بتصرّف).

ذلك أَنَّ القلوب جُبلت على حبِّ من ألان لها الجانب، وخفض لها الجناح، ونظر إليها من دونٍ لا من عليّ.

• الحرمان من العون والتأييد الإلهي:

ذلك أَنَّ الحقَّ سبحانه مضت سنته أَنَّهُ لا يعطى عونه وتأييده، إلا لمن هضموا نفوسهم، حتى استخرجوا حظَّ الشيطان من نفوسهم، بل حظَّ نفوسهم من نفوسهم، والمتكبرون قوم كبرت نفوسهم، ومن كانت هذه صفته، فلا حق له في عون أو تأييد إلهي.

• استحقاق غضب الله والتعرض لسخطه.

6- حكم الكِبَر

إن من الكِبَر ما يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، يستحق صاحبه الخلود في النار، ومنه ما يكون صاحبه مرتكبًا لكبيرة من الكبائر يستحق العقوبة، ومع ذلك هو تحت مشيئة الله تبارك وتعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، يقول أبو العباس القرطبي:

(لما تقرَّر أَنَّ الكِبَر يستدعي متكبرًا عليه، فالمتكبر عليه:

إن كان هو الله تعالى، أو رُسُلُهُ، أو الحقَّ الذي جاءت به رُسُلُهُ: فذلك الكِبَر كُفْرٌ.

وإن كان غَيْرَ ذلك: فذلك الكِبَر معصيةٌ وكبيرة، يُخَاف على المتلبِّس بها المصيرَ عليها أَن تُفْضِي به إلى الكُفْرِ، فلا يدخل الجنة أبدًا.

فإن سَلِمَ مِنْ ذلك، ونَفَذَ عليه الوعيد، عوقبَ بالإذلالِ والصَّغارِ، أو بما شاء الله مِنْ عذاب النار، حتَّى لا يبقى في قلبه مِنْ ذلك الكِبَر مثقالَ ذَرَّةٍ، وخُلصَ من خَبَثِ كِبَرِهِ حتى يصيرَ كالذَّرَّةِ؛ فحينئذ يتداركُهُ اللهُ تعالى برحمته، ويخلصه بإيمانه وبركته. وقد نصَّ على هذا المعنى النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم في المحبوسين على الصِّراط لما قال: (حتَّى إِذَا هُدُّبُوا ونُقُوا، أُنِ لَهم في دُخُولِ الجنة¹)².

(فالذي في قلبه كبر، إمَّا أن يكون كبرًا عن الحق وكرامة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة، لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ

﴿[محمد: 9]، ولا يحبط العمل إلا بالكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

1 - صحيح البخاري، كتاب المَظالم وَالْعَصَب، باب فِصَاصِ المَظالم، ج3، ص128، ح رقم: 2440.
2 - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف / الحافظ أبو العباس أحمد بن أبي حفص عمَر، الأنصاري القرطبي، (ت: 656 هـ)، المحقق: محي الدين ديب ميسنر، ويوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى: 1417 هـ- 1996، ج1، ص288.

أَلْتَأْتِرُ هُمْ فِيهَا خَلِيدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة: 217]، وأمّا إذا كان كبيراً على الخلق وتعاظماً على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولاً كاملاً مطلقاً، لم يسبق بعذاب، بل لا بد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوانه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة¹.

وبالحديث عن التَّكَبُّرِ وجب التَّعْرِيجُ على التَّوَّاضِعِ، لكونه المرآة العاكسة لما يجب أن يكون عليه المسلم، و باختصار نقول:

ثانياً: التواضع

1- التَّوَّاضِعُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:

أ- التَّوَّاضِعُ لُغَةً:

التَّوَّاضِعُ التَّنَدُّلُ، يُقَالُ: وَضَعَ فُلَانٌ نَفْسَهُ وَضْعًا، وَوَضُوْعًا بِالضَّمِّ، وَضَعَةً، بِالْفَتْحِ: أَي أَدْلَاهَا. وَتَوَّاضَعَ الرَّجُلُ: إِذَا تَنَدَّلَ، وَقِيلَ: دَلَّ وَتَخَاشَعَ².

ب- التَّوَّاضِعُ اصْطِلَاحًا:

التَّوَّاضِعُ هُوَ: (تَرَكَ التَّرْوُسُ، وَإِظْهَارُ الْخُمُولِ، وَكَرَاهِيَةُ التَّعْظِيمِ، وَالزِّيَادَةُ فِي الْإِكْرَامِ، وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الْإِنْسَانُ الْمِبَاهَاةَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَالْمَفَاخِرَةَ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ، وَأَنْ يَتَحَرَّرَ مِنَ الْإِعْجَابِ وَالْكَبْرِ)³.

وقيل هو: (رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. وهو وسطٌ بين الكِبْرِ والضَّعَّةِ، فَالضَّعَّةُ: وَضَعُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مَكَانًا يَزْرِي بِهِ بِتَضْيِيعِ حَقِّهِ.

والكِبْرِ: رَفَعُ نَفْسِهِ فَوْقَ قَدْرِهِ)⁴.

وقيل هو: (إِظْهَارُ التَّنَزُّلِ عَنِ الْمَرْتَبَةِ لِمَنْ يَرَادُ تَعْظِيمُهُ، وَقِيلَ: هُوَ تَعْظِيمُ مَنْ فَوْقَهُ فَضْلُهُ)⁵.

2- الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَّاضِعِ وَبَعْضِ الصِّفَاتِ

أ- الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَّاضِعِ وَالتَّنَدُّلِ:

(إِنَّ التَّنَدُّلَ: إِظْهَارُ الْعِجْزِ عَنِ مَقَاوِمَةِ مَنْ يَتَنَدَّلُ لَهُ. وَالتَّوَّاضِعُ: إِظْهَارُ قُدْرَةِ مَنْ يَتَوَّاضِعُ لَهُ، سِوَاءَ كَانَ ذَا قُدْرَةٍ عَلَى التَّوَّاضِعِ أَوْ لَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ الْعَبْدُ: مَتَوَّاضِعٌ

1 - شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ، عدد الأجزاء: 6، ج3، ص542.

2 - تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ج22، ص243.

3 - تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص25.

4 - الفريعة إلى مكارم الأخلاق، الرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِي، ص299.

5 - فتح الباري، ابن حجر، ج11، ص341.

لخدمه، أي: يعاملهم معاملة من لهم عليه فُدْرَة، ولا يُقال: يتذلل لهم؛ لأنَّ التذلل: إظهار العجز عن مقاومة المتذلل له، وأنَّه قاهر، وليست هذه صفة الملك مع خدمه)¹.

ب- الفرق بين التواضع والخشوع:

(التواضع: يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة.

والخشوع: يقال باعتبار الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح)².

3- التواضع في القرآن الكريم

- قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63]، قال ابن القيم: (أي: سكينه و وقارًا، متواضعين غير أشريين ولا مَرِحِينَ ولا متكبرين، قال الحسن: علماء حلماء. وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة، لا يسفّهون، وإن سفّه عليهم حلموا. والهون - بالفتح - في اللّغة: الرّفق واللّين، والهون - بالضم -: الهوان فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان، والمضموم صفة أهل الكُفران، وجزاؤهم من الله النيران)³.

(وقال تعالى مخاطبًا رسوله، ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما أَلان به قلبه على أمته المتبّعين لأمره، التّاركين لجزره، وأطاب لهم لفظه، الآية: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159])⁴.

- كما أمره الله سبحانه وتعالى أن يلين جانبه للمؤمنين، وأن يتواضع لهم، فقال:

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (أي: أَلن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم)⁵.

وقال عزّ من قائل: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 215].

1 - الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، عدد الأجزاء: 1، ص 122.
2 - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 216.
3 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج 2، ص 310.
4 - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 4، ص 248.
5 - المرجع نفسه، ج 10، ص 57.

- ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمْ (يُظْهِرُونَ الْعُطْفَ وَالْحُنُوءَ وَالتَّوَاضُّعَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُظْهِرُونَ الشَّدَّةَ وَالغَلْظَةَ وَالتَّرْفُوعَ عَلَى الْكَافِرِينَ)، حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: 54].

وقال ابن كثير: (هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليئه، متعزِّزاً على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29])¹.

وقال ابن القيم: (لَمَّا كَانَ الذُّلُّ مِنْهُمْ ذُلًّا رَحْمَةً وَعُطْفًا وَشَفَقَةً وَإِخْبَاتًا، عَدَّاهُ بِأَدَاءٍ عَلَى تَضْمِينًا لِمَعَانِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرِدْ بِهِ ذُلُّ الْهَوَانِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلِيلٌ، وَإِنَّمَا هُوَ ذُلُّ اللَّيْنِ وَالانْقِيَادِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلُولٌ، فَالْمُؤْمِنُ ذَلُولٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الذَّلُولِ، وَالْمَنَافِقُ وَالْفَاسِقُ ذَلِيلٌ)².

- وقوله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: 24]. (حيث أمر الله بالتَّوَاضُّعَ لِلْوَالِدِينَ ذُلًّا لَهُمَا وَرَحْمَةً وَاحْتِسَابًا لِلْأَجْرِ).

- وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: 83].

قال ابن كثير: (يخبر تعالى أنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَنَعِيمَهَا الْمَقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، جَعَلَهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ، أَي: تَرْفَعًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَتَعَاظُمًا عَلَيْهِمْ وَتَجَبُّرًا بِهِمْ، وَلَا فَسَادًا فِيهِمْ)³.

إنَّ الله تعالى يقول: ﴿ ..وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا... ﴾ المرح يأتي في اللغة بمعنى شدة الفرح والنشاط . حتى يجاوز قدره، ويأتي أيضا بمعنى التبخر والاختيال فقوله: ﴿ ..وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا... ﴾ هو بمعنى: ولا تمش في الأرض مشية تبخر واختيال ولذلك ختم الله الآية بما يناسب هذا المعنى فقال: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

1 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص136.

2 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج2، ص310.

3 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص258.

كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١﴾ أي: لا يحب كل مختالٍ على الناس مستكبر عليهم بمشيئته بينهم أو بإعراضه عنهم، ولا يحب كل فخور على الناس بنفسه أو بما أتاه الله من قوة أو مالٍ أو نسبٍ أو جاهٍ أو نكاه قلب أو جمال وجه وحسن طلعة .

ولو عقل المستكبرون الذين يختالون ويمشون في الأرض مرحاً لعرفوا أنّ هذا العمل يصغرهم، ويقلل من شأنهم عند الله وعند الناس فانه لا يحبّ الذين يستكبرون على عباده ولا يحبّ الذين يريدون علواً في الأرض والناس أيضا يكرهون من يستكبر عليهم ويكرهون كل ظاهرة تدلّ على الكبر في الأنفس إذا رأوها من غيرهم .

الخاتمة والتوصيات:

بعد هذه الجولة في رياض آيات وصايا لقمان الحكيم من سورة لقمان تتسّمث عبير أزهارها، وعبق أزاهيرها، ولم تقطف يداي ثمراتها؛ لتؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

فلقد وقفت على كمّ هائل من الحكم والمثل والقيم، وكذا معان ومرام، أبانت عنها تلك الآيات، لذا فإني لاحظت ممّا سبق عرضه أن منهج القرآن الكريم في تربية الإنسان يركز بشكل أساسي على التربية على الإيمان الصادق بالله تعالى وبصفاته، وتشكل هذه القاعدة الثّواة التي تنطلق منها كلّ المفاهيم والمناهج والأساليب، فنظرة الإنسان إلى الكون وإلى الإنسان والحياة ومفاهيمه عنها وعن نفسه تنطلق من هذه الثّواة، وتحديد أهدافه ومهامه في الحياة ينطلق منها، وتنظيم كلّ العلاقات مع الله ومع نفسه ومع المجتمع ينطلق منها أيضاً، فحريّ بالآباء والمربّين أن يستفيدوا من تلك الوصايا في تربية أبنائهم، وتوجيه تلاميذهم، فهي بلا شكّ المنهاج الصّحيح لأصول التربية الحسنة النّاجحة، والطريقة المثلى لإعداد جيل صالح على أساس قويّ من عقيدة التّوحيد، يعرف حقوق ربّه، وحقوق والديه، وحقوق مجتمعه.

فلا سبيل لفلاح النّاس ونجاحهم في هذه الحياة، إلا أن ينهلوا من سنن الإسلام ومنهاجه القويم في تربية أبنائهم، وتقويم سلوك تلاميذهم، وفي إصلاح نفوسهم، وتثبيت عقيدتهم، وتعليمهم مبادئ الخير والفضيلة، وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة، وبذلك يضمنوا بإذن الله تعالى إيجاد الجيل المؤمن، والشباب الصّالح، الممتثل لأوامر ربّه، والقُدوة الطيّبة لغيره في كل مكرمة وفضيلة، والخلق والعمل الصّالح.

وفي ضوء ما تقدّم هذه أهمّ الثّنائج المتوصّل إليها:

- من خلال الآيات نستنتج أنّه من الضّروري أن يجلس الأب مع ابنه دائماً كي يعظه ويوجّهه ويؤدّبه ويربّيه.

- على المسلمين أن يتواصوا في أمور الخير كلّها، لأنّ الله شرع لنا في القرآن الوصيّة في أمور الدّنيا والآخرة.

- عند النّصيحة على الأب أو المربّي أن يستخدم أسلوب الحبّ والشفقة ليُشعر الولد بأنّ النّصيحة نابعة من باب الخوف عليه والحرص على مصلحته ويتجلّى ذلك في قول لقمان لابنه (يَبْنِيَّ). في المقابل ضرورة عدم استعمال الألفاظ الجارحة والكلمات التي تُنقص من شأن الابن، عندها فقط يزيد قبول النّصيحة لمن هو محلّ النّصح.

- التدرّج في النّصيحة، الأولى فالأولى: العقيدة أو لا ثمّ برّ الوالدين وهكذا.

- عند النصيحة والوعظ يجب استعمال أسلوب الإقناع، كما فعل سيدنا لقمان: بالدليل المنطقي، العملي (... إِنَّ الشَّرْكَ لظَلْمٌ عَظِيمٌ)، ثمّ بالدليل الماديّ والتفكير (... حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ...)، وكذا استعمال ضرب الأمثلة (... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ...).

وهذه بعض التوصيات التي نرى من الواجب أن نسجلها في آخر هذا البحث:

- أن يتوجّه الثربويّون إلى القرآن الكريم يستمدّون منه الفكر والقيم والوسائل والأساليب لتربية جيل صالح مؤمن بالله و متمسك بالقيم والأخلاق.
- ضرورة أن يعتني طلاب قسم التفسير وعلوم القرآن بالتفسير الموضوعي.
- ضرورة أن تتناول مواضيع وصايا لقمان ضمن دراسة أكاديمية مستقلة وموسّعة وفق منهج التفسير الموضوعي، حتّى يتمّ استيعاب جميع حيثياتها.
- ضرورة أن ينقب طلاب علم التفسير على جميع الوصايا في القرآن وتضمّ إلى وصايا لقمان وتدرس ضمن بحث موضوعي واحد، وفق منهج التفسير الموضوعي دائماً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، محمود صافي، دار الرّشيد، دمشق- بيروت/ مؤسّسة الإيمان، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: 1416هـ-1995م.

2- اكتشاف عن حقائق غوامض التّنزيل، المؤّلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرّمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4.

3- التّحرير والتّنوير: «تحرير المعنى السّدِيد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤّلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (والجزء رقم 8 في قسمين).

4- أحكام القرآن، المؤّلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعُلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 4.

5- إحياء علوم الدين المؤّلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: 4.

6- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدّين (المتوفى: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: 7، 1323 هـ .

7- الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج8، دار السّلام، القاهرة - مصر -، بيروت - لبنان -، حلب - سوريا -، الطبعة الأولى: 1405هـ - 1985م.

8- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1/ 1405هـ.

9- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

10- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: 1.

- 11- الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، مصطفى ابراهيم المشني، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، المجلد 7، العدد2، جمادى الآخرة 1431هـ، يونيو2010م، ص11.
- 12- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: 15 - أيار / مايو 2002 م.
- 13- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 14- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 15- البرّ في القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، هناء عبد الله سليمان أبو داود، 1425هـ/1426هـ، جامعة أمّ القرى.
- 16- البرهان في علوم القرآن، بَدْر الدِّين مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: 4.
- 17- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي الثجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6، عام النشر: ج 1، 2، 3: 1416 هـ - 1996 م ج 4، 5: 1412 هـ - 1992 م، ج 6: 1393 هـ - 1973 م.
- 18- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- 19- التفسير الأدبي لسورة لقمان، كامل سلامة الدقس، الطبعة الأولى، جدة، دار الشروق (1397 هـ - 1977 م).
- 20- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأن، (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1413هـ- 1993م. دلسي

- 21- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.
- 22- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
- 23- تفسير الشعراوي - الخواطر - محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20، (ليس على الكتاب المطبوع أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).
- 24- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 8.
- 25- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 1/ 1365 هـ.
- 26- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، من إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ.د/ مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، 1431 هـ - 2010 م.
- 27- تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع بطنطا - مصر، الطبعة الأولى: 1410 هـ - 1989 م.
- 28- التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: 281هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: 1، 1409 - 1989، عدد الأجزاء: 1.
- 29- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
- 30- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 1.

- 31- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
- 32- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق الثجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ عدد الأجزاء: 9.
- 33- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات).
- 34- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- 35- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا (في 10 مجلدات).
- 36- الداء والدواء: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجددة، طبعة دار عالم الفوائد بجددة، الطبعة الأولى 1429 هـ، عدد الأجزاء: 1.
- 37- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس)،
- 38- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس)

- 39- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى-1422هـ.
- 40- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- 41- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر المكتبة العصرية، صيدا بيروت، عدد الأجزاء: 4.
- 42- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م، عدد الأجزاء: 5.
- 43- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، عدد الأجزاء: 25 (23 ومجلدان فهارس).
- 44- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ، عدد الأجزاء: 1.
- 45- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم للملإين- بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- 46- صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2.
- 47- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة 4، 1402 هـ - 1981 م.
- 48- عدّة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ/ 1989 م، عدد الأجزاء: 1
- 49- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه

وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

50- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، عدد الأجزاء: 1.

51- في ظلال القرآن، سيّد قطب، مج 5، بيروت دار الشروق، الطبعة العاشرة، 1402 هـ / 1982 م.

52- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، ضبطه وصحّحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983 م.

53- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ت: 1094هـ)، ج 1، ص 560، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

54- لباب الثقول في أسباب الثزول، جلال الدين السيوطي، الطبعة الرابعة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان.

55- لسان العرب، مادة وعظ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

56- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1981 م، عدد الأجزاء: 1.

57- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، مج 7، العدد 2، جمادى الآخر 1431 هـ، يونيو 2010 م.

58- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام 1416هـ/1995 م.

59- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

60- المحرّر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب
رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ج2، الناشر: دار ابن الجوزي،
التمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1427 هـ - 2006م)،
عدد الأجزاء: 2.

61- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين ابو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن
قدامة المقدسي، المتوفى: 689 هـ، قدّم له: محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة
دار البيان، دمشق، عام النشر: 1398 هـ - 1978م، عدد الأجزاء: 1.

62- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن
أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، المحقق: محمد
المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: 3، 1416 هـ
- 1996م، عدد الأجزاء: 2.

63- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241 هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط -
عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر:
مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

64- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري
(المتوفى: 261 هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء
التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5.

65- المضامين التربوية لوصايا لقمان، نوف بن ناصر التميمي، مصدر هذه
المادة، دار طيبة، الكتيبات الإسلامية.

66- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، بحث أكاديمي،
إعداد: د. / عبد الرحمن بن محمد عبد المحسن الأنصاري، أستاذ مساعد بقسم
التربية، بكلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

67- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن
بن محمد عبد المحسن الأنصاري، أستاذ مساعد بقسم التربية بكلية الدعوة
وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (بحث أكاديمي).

68- معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس أبو الحسن الرازي، المتوفى 395 هـ،
تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر، 1399 هـ، 1979م، عدد
الأجزاء: 6.

69- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين
يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ)، الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18 (في 9
مجلدات).

- 70- مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ، خَالِدُ بْنُ جَمْعَةَ الْخِرَازِ، مَكْتَبَةُ أَهْلِ الْأَثَرِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الْكُوَيْتِ، الطَّبْعَةُ: 1، 1430 هـ - 2009 م.
- 71- مَوْقِعُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى عَلَى الشَّبَكَةِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ، صَفْحَةٌ: *الإعراب التطبيقي، رياض علي الخوام*.
- 72- مَوْقِعٌ: www.dorar.net ، عَنْ مَوْسُوعَةِ الْأَخْلَاقِ، لَخَالِدِ بْنِ جَمْعَةَ بْنِ عَثْمَانَ الْخِرَازِ (بِتَصَرُّفٍ).
- 73- مِيزَانُ الْعَمَلِ، الْمَوْئَلَفُ: أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوسِيُّ (الْمُتَوَفَى: 505هـ)، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: الدُّكْتُورُ سَلِيمَانُ دُنْيَا، النَّاشِرُ: دَارُ الْمَعَارِفِ، مِصْرَ، الطَّبْعَةُ: الْأُولَى، 1964 هـ، عَدَدُ الْأَجْزَاءِ: 1.
- 74- الْمَيْسَّرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ عَشْرَةَ ، مُحَمَّدٌ فَهْدٌ خَارُوفٌ، دَارُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، دِمَشْق-بَيْرُوتَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى: 1420هـ، 2000م.
- 75- نَضْرَةُ التَّعْمِيمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، عَدَدٌ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ بِإِشْرَافِ الشَّيْخِ/ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمِيدِ إِمَامٍ وَخَطِيبِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، دَارُ الْوَسِيلَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، جَدَّةُ، الطَّبْعَةُ: الرَّابِعَةُ.
- 76- نِظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، بَرَهَانَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَمْرِو الْبِقَاعِيِّ، ت: 885هـ، النَّاشِرُ: دَارُ الْكِتَابِ الْإِسْلَامِيِّ، الْقَاهِرَةُ، عَدَدُ الْأَجْزَاءِ: 22.
- 77- وَصَايَا لِقْمَانَ وَثِيْقَةٌ جَمَعَتْ أَصُولَ الثَّرِيْبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُحَمَّدٌ رِجَاءُ حَنْفِي عَبْدُ الْمُتَجَلِّيِّ، مَجَلَّةُ الْخَفْجِيِّ، ذُو الْحِجَّةِ 1417 هـ/ مَآيُو 1997 م.

سورة البقرة

- 89 قَالَ تَعَالَى: ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ... ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ... ﴿٣﴾ ال بقرة: ١ - ٣
- 110 قَالَ تَعَالَى: ﴿٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... ﴿٥﴾ ال بقرة: ٤٣
- 88-39 قَالَ تَعَالَى: ﴿٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا ... ﴿٧﴾ ال بقرة: ٣٤
- 30-24 قَالَ تَعَالَى: ﴿٨﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا ... ﴿٩﴾ ال بقرة: ٥٤
- 89 قَالَ تَعَالَى: ﴿١٠﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَطُنُّونَ أَنَّهُمْ ... ﴿١٢﴾ ال بقرة: ٥٤ - ٦٤
- 100 قَالَ تَعَالَى: ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَطُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ ... ﴿١٤﴾ ال بقرة: ٦٤
- 84 قَالَ تَعَالَى: ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴿١٦﴾ ال بقرة: ٢٨
- 80 قَالَ تَعَالَى: ﴿١٧﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى ... ﴿١٨﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا ... ﴿١٩﴾ ال بقرة: ٢٩ - ٦٩
- 64 قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٠﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ... ﴿٢١﴾ ال بقرة: ٩٢١
- 64 قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٢﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ... ﴿٢٣﴾ ال بقرة: ١٥١
- الشكر قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٤﴾ فَاذْكُرُونِي أَنذُرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ... ﴿٢٥﴾ ال بقرة: ٢٥١
- 99-91 قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا ... ﴿٢٧﴾ ال بقرة: ٢٥١
- 103 قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴿٢٩﴾ وَلَا تَقُولُوا ... ﴿٣٠﴾ ال بقرة: ٣٥١ - ٧٥١
- 100 قَالَ تَعَالَى: ﴿٣١﴾ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ ... ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ إِذَا ... ﴿٣٣﴾ ال بقرة: ٥٥١ - ٧٥١
- 70 قَالَ تَعَالَى: ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا ... ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ ... ﴿٣٦﴾ ال بقرة: ٢٧١ - ٣٧١
- 103-99 قَالَ تَعَالَى: ﴿٣٧﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴿٣٨﴾ ال بقرة: ٧٧١
- 71 قَالَ تَعَالَى: ﴿٣٩﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ... ﴿٤٠﴾ ال بقرة: ٥٨١
- 116 قَالَ تَعَالَى: ﴿٤١﴾ يَتَذَكَّرُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ... ﴿٤٢﴾ ال بقرة: ٧١٢
- 20 قَالَ تَعَالَى: ﴿٤٣﴾ * وَأُولَادَاتٌ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ... ﴿٤٤﴾ ال بقرة: ٣٣٢
- 90 قَالَ تَعَالَى: ﴿٤٥﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ... ﴿٤٦﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ ... ﴿٤٧﴾ ال بقرة: ٨٣٢ - ٩٣٢
- 101 قَالَ تَعَالَى: ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ ... ﴿٤٩﴾ ال بقرة: ٩٤٢
- 64 قَالَ تَعَالَى: ﴿٥٠﴾ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿٥١﴾ ال بقرة: ١٥٢
- 65-62 قَالَ تَعَالَى: ﴿٥٢﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ... ﴿٥٣﴾ ال بقرة: ٩٦٢

سورة آل عمران

- 103 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ... بِالْأَسْحَارِ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٣﴾ آل عمران: ٦١ - ٧١.....
- أ قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... ﴿١٠٤﴾ آل عمران: ٢٠١.....
- 93-92 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٥﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... ﴿١٠٥﴾ آل عمران: ٤٠١.....
- 95 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا... ﴿١٠٦﴾ آل عمران: ٥٠١.....
- 94-93 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٧﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴿١٠٧﴾ آل عمران: ١١.....
- 101 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً ... ﴿١٠٨﴾ هَاتَتْكُمْ أَوْلَاءَ ... ﴿١٠٨﴾ آل عمران: ١٨١ - ٦٢١.....
- 71 قَالَ تَعَالَى ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ... ﴿١٠٩﴾ آل عمران: ٣٢١.....
- 100 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٠﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم... ﴿١١٠﴾ آل عمران: ٥٢١.....
- 101 قَالَ تَعَالَى ﴿١١١﴾ أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ... ﴿١١١﴾ آل عمران: ٢٤١.....
- 102 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ... ﴿١١٢﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ... ﴿١١٢﴾ آل عمران: ٦٤١ - ٨٤١.....
- 117 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٣﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ... ﴿١١٣﴾ آل عمران: ٩٥١.....
- 103 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٤﴾ كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... ﴿١١٤﴾ * لَسْبَلُوتَ ... مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١١٤﴾ آل عمران: ٥٨١ - ٦٨١.....
- 102 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ... ﴿١١٥﴾ آل عمران: ٠٠٢.....

سورة النساء

- أ قَالَ تَعَالَى ﴿١١٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي ... ﴿١١٦﴾ النسا: ١.....
- 102 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٧﴾ وَمَنْ لَمْ يَمْسُطْ مِنْكُمْ طَوْلًا ... وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ النسا: ٥٢.....
- 83-78 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٨﴾ * وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴿١١٨﴾ النسا: ٦٣.....
- 89 قَالَ تَعَالَى ﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى... ﴿١١٩﴾ النسا: ٤٣.....
- 79 قَالَ تَعَالَى ﴿١٢٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ... ﴿١٢٠﴾ النسا: ٨٤.....

- 06 قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانَ ... ﴾ (٨٢) ﴿ السُّدَّة: ٢٨ ٢٨:٤١
- 88 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ (١١١) ﴿ السُّدَّة: ١٠١ ١٠١:٤١
- 88 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ... ﴾ (١١٢) ﴿ النِّسَاء: ٢٠١ ٢٠١:٤١
- 89 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ (١١٣) ﴿ السُّدَّة: ١٠١ - ٣٠١ ١٠١:٤١ - ٣٠١
- 79-77 قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ... ﴾ (١١٦) ﴿ السُّدَّة: ٦١١ ٦١١:٤١

سورة المائدة

- 118 قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ... ﴾ (٥٤) ﴿ المائدة: ٤٥ ٤٥:٤٥
- 82-77 قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ (٧٢) ﴿ المائدة: ٢٧ ٢٧:٤٥
- 95 قَالَ تَعَالَى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾ (٧٨) ﴿ المائدة: ٨٧ - ٩٧ ٨٧:٤٥ - ٩٧:٤٥

سورة الأنعام

- 85 قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... ﴾ (٥٩) ﴿ الأنعام: ٩٥ ٩٥:٤٥
- 71 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾ (٦٤) ﴿ الأنعام: ٣٦ - ٤٦ ٣٦:٤٥ - ٤٦:٤٥
- 78-12 قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... ﴾ (٨٢) ﴿ الأنعام: ٢٨ ٢٨:٤٥
- 82 قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ... ﴾ (٨٨) ﴿ الأنعام: ٨٨ ٨٨:٤٥
- 95 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾ (١٠٤) ﴿ الأنعام: ٤٠١ ٤٠١:٤٥
- 79 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ... ﴾ (١١٦) ﴿ الأنعام: ١٢١ ١٢١:٤٥
- 84 قَالَ تَعَالَى: ﴿ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ ... ﴾ (١٥١) ﴿ الأنعام: ١٥١ ١٥١:٤٥

سورة الأعراف

- 112 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ... ﴾ (١٣) ﴿ الأعراف: ٣٤ ٣٤:٤٥

- 110 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا... ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ... ﴿٧٦﴾ ﴾ الأء راف: ٥٧ - ٦٧
- 111 قَالَ تَعَالَى: ﴿ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ... ﴿٨٨﴾ ﴾ الأء راف: ٨٨
- 104 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ... ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأء راف: ٧٣١
- 111 قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ... ﴿١٦٦﴾ ﴾ الأء راف: ٦٤١
- 93 قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأء راف: ٧٥١
- 79 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا... ﴿١٦٦﴾ ﴾ الأء راف: ٩١
- 93 قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ... ﴿١٩١﴾ ﴾ الأء راف: ٩٩١

سورة الأنفال

- 99 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا... ﴿٦٦﴾ ﴾ الأء ال: ٦٤
- 104 قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ... ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ خَلَّالَ ظَلَمٍ: ﴿٦٦﴾ ﴾ ٥٦ - ٦٦

سورة التوبة

- 79 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴿٣﴾ ﴾ التوبة: ٣
- 93 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ١٧
- 93 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ... ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: ٢٧
- 88 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا... ﴿٨٤﴾ ﴾ التوبة: ٤٨
- 90-87 قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا... ﴿١٣٣﴾ ﴾ التوبة: ٣٠١
- ب قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً... ﴿١٣٢﴾ ﴾ التوبة: ٢٢١

سورة يونس

- 90 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ... ﴿٨٧﴾ ﴾ يونس: ٧٨

سورة هود

91-90 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَسْئَعِيْبُ اَصْلُوْتُكَ تَأْمُرُكَ اَنْ نَّتْرِكَ مَا يَعْبُدُ... ﴾ ﴿ ٨٧ ﴾ ﴿ هِد: ٧٨ 91-90

سورة يوسف

77 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ اَكْثَرُهُمْ بِاللهِ اِلَّا وَهُمْ... ﴾ ﴿ ١١٦ ﴾ ﴿ يوسف: ٦٠١ 77

94 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيْلٌ اَدْعُوْا اِلَى الله... ﴾ ﴿ ١٧٨ ﴾ ﴿ يوسف: ٨٠١ 94

سورة الرعد

100 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِيْنَ صَبَرُوا اَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّيْهِمْ... ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ جَنَّتٍ عَدْنٍ... ﴾ ﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ الرعد: ٢٢ - ٤٢ 100

سورة ابراهيم

79 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْاَمْرُ... ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ ابراهيم: ٢٢ 79

71 قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا اِنِّيْ اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بُوَادٍ... ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ ﴿ ابراهيم: ٧٣ 71

90 قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ... ﴾ ﴿ ٥٠ ﴾ ﴿ ابراهيم: ٥٤ 90

سورة الحجر

117 قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ... ﴾ ﴿ ٨٨ ﴾ ﴿ الحجر: ٨٨ 117

سورة النحل

33 قَالَ تَعَالَى: ﴿ اَتَى اَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوْهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ ﴿ ١ ﴾ ﴿ النحل: ١ 33

71 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوْا مِنْهُ... ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ ﴿ النحل: ٤١ 71

71 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللهُ اَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ اُمَّهَاتِكُمْ... ﴾ ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿ النحل: ٨٧ 71

65 ٥٢١: النحل ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ... ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٤﴾ ٥٢١: النحل: ٥٢١

سورة الإسراء

83-40-28-19 ٣٢ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّا ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ٣٢

118-43-الإهداء ٤٢: الإسراء: ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ... ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ٤٢: الإسراء: ٤٢

31 ٧٣: الإسراء: ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ... ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ٧٣: الإسراء: ٧٣

17 ٥٨: الإسراء: ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ وَيَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ٥٨: الإسراء: ٥٨

سورة الكهف

97 ٨٢: الكهف: ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ ... ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ٨٢: الكهف: ٨٢

86 ٩٤: الكهف: ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ ... ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ٩٤: الكهف: ٩٤

75 ٧٠: الكهف: ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ ... ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ٧٠: الكهف: ٧٠

81-79 ١١: الكهف: ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ... ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ١١: الكهف: ١١

سورة مريم

91-88 ١٣: مريم: ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ... ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ١٣: مريم: ١٣

89 ٥٥ - ٦٥: مريم: ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ... ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ٥٥ - ٦٥: مريم: ٥٥

سورة طه

90 ٤١: طه: ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ٤١: طه: ٤١

سورة الأنبياء

76 ٥٢: الأنبياء: ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ٥٢: الأنبياء: ٥٢

- 85-29٧٤ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الظَّالِمِينَ ﴾
- 98٣٨ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾

سورة الحج

- 43 قَالَ تَعَالَى: ﴿ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ... ﴾ الحج: ١٣
- 88 قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ... ﴾ الحج: ٥٤

سورة الفرقان

- 117 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ... ﴾ الفرقان: ٣٦
- 71 قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا... ﴾ الفرقان: ١٦ - ٣٦

سورة الشعراء

- 117 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٥١٢

سورة التمل

- 72 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ... ﴾ النمل: ٥٤

سورة القصص

- 111 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ... ﴾ القصص: ٨٣ - ٥٤
- 118 قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا... ﴾ القصص: ٣٨

سورة العنكبوت

- 11 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... ﴾ العنكبوت: ٨
- 27 قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ... ﴾ العنكبوت: ٢٤

91 قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَلُّ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿الْعَدَّةُ وَت: ٥٤.....

سورة الروم

02 قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ...﴾ ﴿١٥﴾ ﴿الروم: ٥١.....

81 قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ...﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ...﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿الروم: ٩٢ - ٥٣.....

19 قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ...﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿الروم: ٤٤.....

08-02 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ...﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿الروم: ٦٥.....

08 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ...﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿الروم: ٨٥.....

سورة لقمان

08 قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَرْءُ نِتَاجُ ءَايَتِكَ الْكَبِيرِ...﴾ ﴿١﴾ ﴿لقمان: ١ - ٢.....

16 قَالَ تَعَالَى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ...﴾ ﴿٣﴾ ﴿لقمان: ٣.....

08-02 قَالَ تَعَالَى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ...﴾ ﴿٣﴾ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ...﴾ ﴿٤﴾ ﴿لقمان: ٣ - ٤.....

16-15 قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾ ﴿٤﴾ ﴿لقمان: ٤.....

16 قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ ﴿٥﴾ ﴿لقمان: ٥.....

07-03 قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَرْءُ نِتَاجُ ءَايَتِكَ...﴾ ﴿٥﴾ ﴿لقمان: ١ - ٥.....

36-17-02 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...﴾ ﴿٦﴾ ﴿لقمان: ٦.....

08 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَآلَىٰ مَسْتَكْبِرًا...﴾ ﴿٧﴾ ﴿لقمان: ٧.....

04 قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ...﴾ ﴿١١﴾ ﴿لقمان: ١١.....

68-65-62-46-37-36-32-18 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ...﴾ ﴿١٢﴾ ﴿لقمان: ٢١.....

72 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ...﴾ ﴿١٤﴾ ﴿لقمان: ٢١ - ٤١.....

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾ ١٢ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ...﴾ ١٣ ﴿وَوَصَّيْنَا...﴾ ١٤ ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ...﴾ ١٥ ﴿لَقَمَان: ٢١-٥١.....﴾ 46-42
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾ ١٦ ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ١٧ ﴿لَقَمَان: ٢١ - ٩١.....﴾ 08
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ...﴾ ١٨ ﴿لَقَمَان: ٣١.....﴾ 77-49-47-46-38-36-33-19-12
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ ١٩ ﴿لَقَمَان: ٤١.....﴾ 84-49-33-20- الشكر
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ ٢٠ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢١ ﴿لَقَمَان: ٤١ - ٥١.....﴾ 47-14
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ...﴾ ٢٢ ﴿لَقَمَان: ٥١.....﴾ 51-50-49-47-39-38-37-34-21-11
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبُغِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ...﴾ ٢٣ ﴿لَقَمَان: ٦١.....﴾ 86-85-47-39-38-34-22-09
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبُغِيَّ إِنَّهَا...﴾ ٢٤ ﴿يَبُغِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ ٢٥ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ...﴾ ٢٦ ﴿وَأَقْصِدْ فِي...﴾ ٢٧ ﴿لَقَمَان: ٦١ - ٩١.....﴾ 44
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبُغِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ ٢٨ ﴿لَقَمَان: ٧١.....﴾ 97-50-47-41-39-35-23
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...﴾ ٢٩ ﴿لَقَمَان: ٨١.....﴾ 108-50-47-40-39-35-27
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾ ٣٠ ﴿لَقَمَان: ٩١.....﴾ 51-50-40-36-25
- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ...﴾ ٣١ ﴿لَقَمَان: ٩٢.....﴾ 10
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ...﴾ ٣٢ ﴿لَقَمَان: ٧٢.....﴾ 17
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ ٣٣ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ ٣٤ ﴿لَقَمَان: ٧٢ - ٩٢.....﴾ 17-16
- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ...﴾ ٣٥ ﴿لَقَمَان: ١٣.....﴾ 71
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا...﴾ ٣٦ ﴿لَقَمَان: ٣٣.....﴾ 04
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ ٣٧ ﴿لَقَمَان: ٤٣.....﴾ 09

سورة السجدة

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...﴾ ٣٨ ﴿السجدة: ٤٢.....﴾ 99

سورة الأحزاب

- 88 قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾ ﴿٥٣﴾ الأحزاب: ٣٤.....
- 87 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ ﴿٥٥﴾ الأحزاب: ٥٥.....
- أ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ ﴿٧٠﴾ ... فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧ - ١٧.....

سورة فاطر

- 85 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾ ﴿١١﴾ فاطر: ١١.....

سورة يس

- 39 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...﴾ ﴿٢٠﴾ يس: ٢.....
- 71 قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ...﴾ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا... أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ يس: ١٧ - ٣٧.....

سورة ص

- 64 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ...﴾ ﴿٢٠﴾ ص: ٢.....
- 98 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَدَّ يَدَيْكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ...﴾ ﴿٤٤﴾ ص: ٤٤.....

سورة الزمر

- 70 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكَ...﴾ ﴿٧﴾ الزمر: ٧.....
- 100 قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتْ ءَاتَاءَ إِلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا...﴾ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴿١٠﴾ الزمر: ٩ - ١٠.....
- 82 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ ﴿٦٥﴾ الزمر: ٥٦.....
- 70 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ... ﴿٦٦﴾ الزمر: ٥٦ - ٦٦.....

سورة فصلت

110 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ . . . وَهُمْ لَا يُصِرُونَ ﴿١٦﴾ ﴿ همد: ٥١ - ٦١ 110

سورة الشورى

99-41 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴿ الشورى: ٣٤ 99-41

سورة الزخرف

65 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ ... ﴿٣٦﴾ ﴿ الزخرف: ٣٦ 65

سورة الجاثية

111 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ... بَعْدَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴿ الجاثية: ٧ - ٨ 111

سورة الأحقاف

72-20 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ... كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴿ الأذقاف: ٥١ - ٦١ 72-20

111 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... ﴿٢٠﴾ ﴿ الأذقاف: ٢٠ 111

سورة محمد

115 قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴿ همد: ٩ 115

سورة الفتح

118-91 قَالَ تَعَالَى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴿٩١﴾ ﴿ الفتح: ٩٢ 118-91

سورة الذاريات

ب قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَكَرْنَاكَ فَإِنَّا لَنُكْرِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ ال ذاريات: ٥٥.....

75 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ ال ذاريات: ٦٥.....

سورة القمر

65 قَالَ تَعَالَى: ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ ﴾ ﴿٥﴾ القمر: ٥.....

سورة الرحمن

86 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ ﴿٧﴾ الرحمن: ٧.....

سورة الملك

أ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٤﴾ الملك: ٤١.....

سورة القلم

96 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١﴾ القلم: ٤.....

سورة نوح

110 قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ... ﴾ ﴿٧﴾ نوح: ٧.....

سورة القيامة

88 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ ﴿٣١﴾ القيامة: ١٣.....

سورة الشمس

30 قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٦﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٩ - ١٠.....

سورة الزلزلة

85 قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ... شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨.....

سورة العصر

75 قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ١ - ٣.....

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

12	أيتنا لم يلبس إيمانه بظلم؟
24	لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل
30	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
86	
45	إذا سمعتم صياح الديكة
50	لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء
65	لا حسد إلا في اثنتين
66	اللهم علمه الحكمة
68	أفلا أكون عبداً شكورا
73	يا معاذ، والله اني لأحبك والله اني لأحبك
73	إن للطاعم الشاكر
73	بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك
73	خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا
73	عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير
73	من أعطي عطاء فوجد فليجز به
74	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
74	يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل
76	لا إيمان لمن لا أمانة له
76	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
76	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
77	الظلم ظلمات يوم القيامة
78	ليس كما تقولون، أولم تسمعوا إلى قول لقمان
84	الصلاة على وقتها
86	إنما الأعمال بالنيات
87	رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة
90	إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله
94	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
94	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
95	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه
95	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون
95	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
104	إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت
105	من صبر على شدتها ولأوائها

- 105..... ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم
- 105..... إن شئت صبرت ولك الجنة
- 105..... أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء
- 105..... إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه
- 105..... الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
- 106..... لقد لقيت من قومك ما لقيت
- 106..... بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
- 106..... أجل إنني أوعك كما يوعك رجالن منكم
- 106..... هل أنت إلا إصبع دميت
- 109..... ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله
- 109..... ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
- 113.....
- 109..... الكبر بطل الحق
- 112..... لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
- 112..... ألا أخبركم بأهل الجنة؟
- 113..... احتجبت الجنة والنار، فقالت النار
- 115..... حتى إذا هذبوا ونُقوا، أذن لهم في دخول الجنة

فهرس الأعلام

- 46..... أبو العبّاس الحسن بن سعيد المطوّعي
59..... أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني
46..... أبو محمّد يحيى بن المبارك اليزيدي
44..... الأستاذ وهبة بن مصطفى الزّحيلي
47..... الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي
46..... الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصري
16..... الإمام المفسّر أبو العبّاس أحمد بن يوسف الكواشي
05..... الإمام محمّد بن عبد الله، أبو بكر بن العربي
69..... أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي
06..... برهان الدّين أبو الحسن، إبراهيم بن عمر البقاعي
58..... خالد بن سُمير أبو الجوزاء الرّبعي
58..... سعيد بن المسيّب بن حزن أبو حمد المخزومي
59..... عامر بن شرحبيل الشعبي الحميري
59..... علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي
55..... قتادة بن دعامة السّدوسي
55..... مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج المكي
06..... محمّد بن بهادر بن عبد الله الزّركشي
47..... محمّد بن عبد الرّحمن بن محيصرن السّهمي
69..... محمّد عبد الرّؤف بن علي المناوي
36..... النّضر بن الحارث بن علقمه

فهرس الموضوعات

أ	المقدمة	01
ب	- أهمية الدراسة العلمية و غايتها	01
ب	- أسباب اختيار الموضوع	01
ج	- إشكالية البحث	01
د	- الدراسات السابقة	01
د	- المنهج البحث	01
و	- مخطط البحث	01
01	المبحث الأول: بين يدي الآيات	01
01	تمهيد	01
01	1- اسم السّورة	01
01	2- عدد آياتها وكلماتها وحروفها	01
01	3- مكان نزول السّورة	01
01	4- سبب نزولها	01
02	5- محور السّورة	02
02	6- مناسبة اسم السّورة لمحتواها	02
02	7- أقوال العلماء والمفسرين حول السّورة	02
04	8- بين يدي الوصايا	04
05	المطلب الأول: المناسبات في الآيات	05
07	الفرع الأول: مناسبة الآيات لما قبلها (الافتتاح والاستهلال)	07
09	الفرع الثاني: مناسبة الآيات لما بعدها	09
10	الفرع الثالث: مناسبة الآيات في ما بينها	10
11	المطلب الثاني: أسباب نزول الآيات	11
15	المطلب الثالث: بيان المكي والمدني في السّورة	15
18	المبحث الثاني: التفسير التحليلي للآيات	18
18	المطلب الأول: الدراسة اللغوية والنحوية والبلاغية	18
18	الفرع الأول: التّأصيل اللّغوي للآيات	18
26	الفرع الثاني: التّحليل اللفظي والجُملي للآيات	26
26	1- التّحليل اللفظي	26
28	2- التّحليل الجُملي	28
31	الفرع الثالث: شواهد من إعراب الآيات	31
36	الفرع الرابع: البلاغة في الآيات	36
42	المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للآيات	42
42	الفرع الأول: المقطع الأول (الآيات من 12 إلى 15، سورة لقمان)	42
44	الفرع الثاني: المقطع الثاني (الآيات من 16 إلى 19، لقمان)	44

45	المطلب الثالث: القراءات الواردة في الآيات
46	الفرع الأول: القراءات المتواترة
48	الفرع الثاني: القراءات الشاذة
48	المطلب الرابع: استنباط الأحكام الواردة في الآيات
54	المبحث الثالث: التفسير الموضوعي للآيات
54	المطلب الأول: التعريف بلقمان صاحب الوصايا
55	الفرع الأول: ما قاله المفسرون في لقمان
57	الفرع الثاني: ترجمة وجيزة لسيدنا لقمان
57	1- اسمه ونسبه
57	2- وقد اختلف في نسبه
58	3- أوصافه
58	4- صفاته
58	5- مهنته
59	الفرع الثالث: سيدنا لقمان بين النبوة والحكمة
60	الفرع الرابع: بعض من حكم لقمان
62	المطلب الثاني: التعريف بالحكمة
63	الفرع الأول: معنى الحكمة لغةً واصطلاحاً
64	الفرع الثاني: ما جاء حول الحكمة
64	6- في القرآن الكريم
65	7- في السنة النبوية
66	8- في أقوال السلف وأهل العلم
66	9- في فوائدها
67	10- في أنواعها ودرجاتها وأركانها
68	المطلب الثالث: التعريف بالشكر
68	الفرع الأول: الشكر في اللغة والاصطلاح
69	الفرع الثاني: الآيات الواردة في الشكر
69	1- يكون فيها لفظاً أو معنى
70	2- يكون فيها رجاء اقتضاء أمر
71	3- يكون فيها منبع التفكير في آيات الكون
72	4- يكون فيها ثمرة للشاكر نفسه
73	الفرع الثالث: الأحاديث الواردة في الشكر
74	الفرع الرابع: من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الشكر
75	المطلب الرابع: الجانب العقدي في الوصايا
75	الفرع الأول: أهمية التوحيد في حياة المسلم
76	الفرع الثاني: التحذير من الشرك
76	1- التعريف بالشرك
78	2- من مظاهر الشرك

78	3- من معاني لفظ الشرك في القرآن الكريم.....
79	4- الآيات الواردة في الشرك.....
81	5- أخطار الشرك.....
82	6- أحكام الشرك.....
83	المطلب الخامس: الجوانب التَّعبديَّة في الوصايا.....
83	الفرع الأول: برّ الوالدين.....
85	الفرع الثاني: مراقبة الله تعالى.....
87	الفرع الثالث: إقامة الصَّلَاة.....
87	1- تعريف الصَّلَاة.....
87	2- من معاني كلمة الصَّلَاة في القرآن الكريم.....
88	3- الآيات الواردة في الصَّلَاة.....
92	الفرع الرَّابِع: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.....
92	تعريف الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.....
95	المطلب السَّادس: الجانب الأدبي والأخلاقي في الوصايا.....
97	الفرع الأوَّل: الصَّبْر على المشاق.....
97	1- تعريف الصَّبْر ومراتبه وأنواعه.....
99	2- ما ورد في الصَّبْر من نصوص الكتاب العزيز.....
104	3- الأحاديث الواردة في الصَّبْر والمصابرة.....
105	4- المثل التَّطبيقي من حياة النبي ﷺ في الصَّبْر والمصابرة.....
106	5- من الآثار وأقوال العلماء الواردة في الصَّبْر والمصابرة.....
107	6- من فوائد الصَّبْر والمصابرة.....
108	الفرع الثاني: التَّواضع وعدم التَّكَبُّر.....
109	أوَّلًا: التَّكَبُّر.....
109	1- تعريف التَّكَبُّر لغةً واصطلاحًا.....
110	2- الكبر في القرآن الكريم.....
112	3- الكبر في السنة النَّبويَّة.....
113	4- أقوال السلف والعلماء في الكِبْر.....
114	5- من آثار الكِبْر.....
115	6- حُكْم الكِبْر.....
116	ثانيًا: التَّواضع.....
116	1- التَّواضع لغةً واصطلاحًا.....
116	2- الفرق بين التَّواضع وبعض الصِّفات.....
117	3- التَّواضع في القرآن الكريم.....
120	الخاتمة والتَّوصيات.....
122	قائمة المصادر والمراجع.....
127	الفهارس.....